BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum
(DF)

رؤية المخرج ودوره في
تجسيد الشخصيات التاريخية على الشاشة

جابر عصفور:

مرحبا بكم في هذه الندوة، وأنا شخصيا أشعر بسعادة غامرة لإدارة هذه الندوة وذلك لأسباب عدة: أولها بالطبع أن المتحدثة في هذه الأمسية فنانة مبدعة نُكن لها جميعا كل تقدير واحترام وهي من القلة النادرة في أجهزة الإعلام التي تؤمن بأن للفن رسالة وأن الإخلاص للفن شيء يستحق أن توهب الحياة من أجله. وسبب آخر لسعادتي وهو أن إنعام محمد علي سوف تحدثنا اليوم عن "رؤية المخرج ودوره في تجسيد الشخصيات التاريخية على الشاشة"، ولقد اندهشت عندما قرأت العنوان وقلت لنفسي ولماذا كتبوا "رؤية المخرج" ولم يكتبوا المخرجة؟! فرؤية "المخرج" هذه من تحيزات اللغة الذكورية ونحن إزاء "مخرجة" بتاء التأنيث حتى وإن رفضت اللغة العربية تأنيث الوظيفة، لأن إنعام محمد علي إلى جانب اقتدارها في الإخراج لا تزال حريصة على أن توصل صوتًا نسائيًا متحررًا يواجه أشكال التمييز المفروضة على المرأة. ومن خلال متابعة أعمالها الدرامية، سوف نرى انحيازها للمرأة المتحررة المساوية للرجل بل التي تتفوق عليه في أحيان كثيرة. وفي الحقيقة، إن السبب الأخير لسعادتي هو إنها سوف تحدثنا عن تجسيد الشخصيات التاريخية على الشاشة ولها تجربتها المميزة في ذلك، فقد جعلتنا من خلال أعمال لا تُنسى مثل مسلسل "أم كُلثوم" ومسلسل "قاسم أمين" وغيرهما من الأعمال أن نستعيد التاريخ ونعيد رؤيته بعينيها، وذلك بالطبع لكي ننعش ذاكرتنا القومية ونعي أننا ننتسب إلى أسلاف وإلى جدات يتميزون جميعا بالعظمة.

فمرحبا بالأستاذة إنعام محمد علي في هذه الأمسية التي ندين بوجودها في منتدى الحوار للمرحوم الدكتور عادل أبو زهرة الذي نشعر بأنه معنا وبأننا عندما نواصل هذا العمل إنما نواصل الرسالة التي تركها أمانة في أعناقنا.

فمرحبا بكم في هذا المنتدى ومرحبا بالمخرجة إنعام محمد علي، واسمحوا لي قبل أن أعطيها الكلمة أن أقرأ بعض المعلومات الخاصة بها:

- تخرجت الأستاذة إنعام محمد علي في كلية الآداب – جامعة عين شمس، حصلت على الماجستير من كلية الإعلام – جامعة القاهرة وكان عنوان رسالة الماجستير : "الدراما التليفزيونية ودورها في التطوير الاجتماعي"، كما حصلت على عدة دورات تدريبية على الإخراج الدرامي في مصر والخارج. وعملت في التليفزيون المصري منذ إنشائه، وكانت أول امرأة تخرج عملا دراميا بالتليفزيون، وتدرجت في المناصب حتى أصبحت تشغل الآن منصب نائب رئيس قطاع الإنتاج باتحاد الإذاعة والتليفزيون بدرجة وكيل وزارة، ولها أعمال كثيرة تضم عشرين مسلسلا وخمسة أفلام وثماني عشرة سهرة درامية وثلاث تمثيليات سهرة، وحصلت على جوائز كثيرة من مصر ومن عدد من الدول العربية ومن مهرجان شنغهاي الدولي، كما حصلت على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في عيد الإعلاميين، وملحق بهذه المحاضرة قائمة بالأعمال والجوائز التي حصلت عليها الأستاذة إنعام محمد علي.

ويمكنني أن أستعرض كل أشكال التكريم الذي حصلت عليه المخرجة إنعام محمد علي غير أن ذلك سيستغرق وقتا طويلا، ولكن في تقديري أن أهم شكل من أشكال الاعتراف بإنجازها هو حب الناس لها واحترامهم لمسيرتها الفنية والإبداعية وأعتقد أن الذي يحصل على احترام الناس الذين لا تربطه بهم مصلحة يكون قد حَصل على أهم شكل من أشكال التقدير. والآن، اسمحوا لي أن أقدم لكم إنعام محمد علي التي تقدرونها لتحاضرنا في الموضوع الذي اختارته.

إنعام محمد علي:

أهلا بكم، وأهلا للمرة الثالثة لي في مكتبة الإسكندرية، في الحقيقة، إن هذه المقدمة التي قدمني بها الدكتور جابر عصفور جعلتني أذوب خجلا لدرجة أنني أشك في أنني سأستطيع أن أتكلم.

وأنا أستسمحكم قبل أن أبدأ محاضرتي في الوقوف دقيقة حدادًا على الدكتور عادل أبو زهرة.

قبل أن أتطرق إلى قلب موضوع الندوة، أريد أن أقدم لمحة قصيرة عن مهنة المخرج، هذه المهنة المُجهَّلة لدى الكثيرين. بالطبع، أي عمل فني لابد أن يكون له نص ومادام هناك نص لابد أن يكون هناك مؤلف، ومادام هناك نص لابد أن يكون هناك مؤدّون أو ممثلون، لكن هذا الوسيط بين الاثنين هو الذي يجهل الكثيرون دوره. إن قطاع عريض من المشاهدين يجهل دور المخرج، وسوف أحكي لكم واقعة صغيرة حدثت معي، إذ كنت ذات مرة في مبنى التليفزيون، بالتحديد في حجرة رسم اللوحات، وكان ذلك في الثمانينيات حيث كان لي مسلسل معروض، فقلت للموجودين: "لا تنسوا أن تشاهدوا اليوم حلقة مسلسل "دعوة للحب"، فردوا علي قائلين: "نعم نعم، مسلسل ميرفت أمين؟!" يأتيني هذا الرد وأنا في مبنى التليفزيون وأنا التي أتحدث! فطبعا أصابني الكثير من الدهشة بل والذهول ورددت عليهم قائلة: " كلا .. إنه مسلسل إنعام محمد علي!"، لأنه من المفروض أن يُنسَب العمل الفني إلى مبدعيه: المؤلف والمخرج.

والمخرج بالتحديد هو حارس البوابة التي تدخل من خلالها كل العناصر الفنية التي تشكل العمل الفني بدءًا من النص، لأنه لو كان مخرجًا مرتزقًا فسوف يُخرج أي نص يُعطى له ولن يصنع ذلك فرقًا كبيرًا عنده فلا يعد للنص عُدَّته.

أما لو كان مخرجا جادا وواعيا فسوف ينتقي النص المناسب، وإذا لم يعجبه النص فلن يخرجه ومن الممكن أن يُخرجه غيره، إلا أنني أريد أن أقول إنه حارس البوابة حتى فيما يختص بالنص، وبالتالي فالنص وكل طاقم الفنيين والممثلين وكل العناصر التي يعيد المخرج صياغتها لكي يؤلف منها العمل الفني المعروض وأن يقدمه لكم على درجة جودة عالية أو كما نقول بالعامية (متسبِّك)، كل هذه الخطوات يكون وحده المسئول عنها. فالمخرج له دور كبير وخطير في إنجاح العمل الفني أو فشله، ولذلك فالمقولة الشائعة (المخرج عايز كده) هي مقولة حقيقية.

إن المخرج لكي يتمكن من أدوات عمله التي ذكرناها لابد أن تكون لديه رؤية أو وجهة نظر ينطلق منها، فيجب أن يطرح على نفسه خمسة أسئلة: في أي مجتمع؟ بأية وسيلة؟ لماذا؟ لمن؟ ما هو الأثر؟

وفي كل عملٍ لابد أن يجيب على هذه الأسئلة الخمسة. فمثلا في مصر وهو مجتمع نامٍ، يجب الوعي فيه بمشكلات المجتمع ومتطلباته وقضاياه وما الذي يجعل التخلف سائدا في المجتمع؟ وكيف يمكن عمل إحلال لقيم بديلة بدلا من القيم التي تشد مجتمعنا للوراء؟

أما عن سؤال بأية وسيلة؟ فيختلف بالطبع إذا كنت سأعرض هذا العمل على المسرح أو في التليفزيون أو في الإذاعة أو في السينما، فكل وسيلة لها متطلباتها ولها نوعية المصنف الذي تُعرض من خلاله.

والتليفزيون ونحن نتحدث عنه الآن يُعتبر وسيلة منزلية، وسيلة تطرق بابنا دون استئذان وبالتالي يكون لها شروطها. فمثلا العمل الذي أغادر منزلي حتى أذهب لأشاهده في السينما أو على المسرح، من الممكن أن أتحرج إذا رأيت مثيله في التليفزيون وأنا أجلس بين أسرتي. ومن الممكن أن يكون هذا هو السبب في أن بعض الدراما التليفزيونية التي عُرضت هذا العام لاقت بعض السخط لأنها عُرضت في رمضان وكان بها بعض مشاهد العُري ، وأنا غير متزمتة على الإطلاق إلا أن الأسلوب الذي يُنتهج لتوصيل رسالة يؤدي في بعض الأحيان إلى أن تضل الرسالة طريقها إلى المتفرج أو أن يُعرِض عنها المشاهد، وهذا شيء مهم جدًّا، إذ عليّ أن أدرس جمهوري المستهدف الذي أوجه له هذه الرسالة.

أيضًا الوسيلة تقتضي أن أفهم الطبيعة الأدبية أو الفنية في تكوين المصنف الذي سأعرضه من خلالها حيث يعتمد على ما يُسمى "المشهد"، فوحدته هي "المشهد" بينما وحدة المسرح هي "الفصل" ووحدة السينما هي "اللقطة"، فكل وسيلة لها أسلوب في صياغتها سواء عن طريق الكتابة أو عن طريق الإخراج.

أيضًا الإجابة عن سؤال لماذا؟ لماذا اخترت هذا الموضوع أو ذاك؟ وما الرسالة التي أريد بثها من خلاله؟ وما الهدف الذي أريد الوصول إليه؟

والإجابة عن سؤال لمن؟ من هو الجمهور المستهدف؟ وما هي نوعيتهم؟ وكيف سأتخاطب معهم؟ وما هي العوامل النفسية التي من الممكن أن تعوق وصول الرسالة لهم؟ وما مستوى ثقافتهم؟ وما الخطاب الذي يسود بينهم؟ وما السلوك والعادات والتقاليد التي تسود بينهم وكيف يكون عندي رؤية مستقبلية أخرى لإحلال سلوكيات وعادات وتقاليد أخرى.

وأخيرا سؤال ما هو الأثر؟ وهو يتعلق برد الفعل للرسالة وهذا لا يرصده المبدع، لكن ترصده جهات كثيرة وهو ما ينقصنا في مصر، وهو إننا لا نرصد أعمالنا لأن رصد الأعمال يساعد على تعديلها وتطويرها أو الإعراض عنها، ولكن في الحقيقة ينقصنا ذلك على الرغم من أهميته، ففي أي عمل إعلامي أو فني أو إبداعي لابد أن يتبعه رجع صدى أو دراسة للصدى الذي نتج عن هذا العمل والذي يجري على أساسه تعديل المسار.

هذه مقدمة سريعة تلخص خطوات كثيرة تشمل عمل من بدايته وحتى نهايته.

أما بالنسبة لموضوع الندوة التي نحن بصددها، في الحقيقة، أنا لم آخذ في حياتي نصًا جاهزًا، فالنص إما أن يكون وليدا لأفكار من عندي بمعنى أن يكون هناك قضية معينة أنا مهمومة بها، أو أن يكون هناك رواية أو قصة أعجبت بها وأحسست إنها داخل إطار رؤيتي وهي ليست نابعة فقط من رؤية شخصية أو رؤية مجتمعية، إذ يقال إن الفن تعبير ذاتي وتعبير عام بمعنى إننا نستقي من مجتمعنا القضايا أو المشكلات أو الموضوعات التي من الممكن أن نخرجها فنيًا من خلال رؤيتنا الذاتية فيشكل ذلك نوعا من التزاوج بين الخاص والعام.

لو تحدثنا عن مسلسل "أم كلثوم"، فأقول إن الفكرة لم تكن فكرتي إنما جاءت من الأستاذ محفوظ عبد الرحمن الذي عرض الفكرة في صورة تساؤل عن إمكانية القيام بعمل مسلسل عن أم كلثوم، فرحبت بالفكرة، ومنذ اللحظة التي رحبت فيها بالعمل وتحدثنا عنه تفرغت له تمامًا لأننا كنا حذرين للغاية أمام هذه الشخصية التي سيترصد لنا – عند تقديمها – جمهورها وعشاقها، ويتساءلون: كيف سنجسد هذه الشخصية على الشاشة؟ وقد حدث هذا بالفعل، فعندما انتهيت من تصوير المسلسل، وقبل إذاعته بثلاثة أيام، كنت أسجل لقاءً تليفزيونيا مع أ. عمار الشريعي في أحد النوادي الخاصة، وبعد أن انتهيت من التسجيل قابلني مدير النادي وقال لي: "كيف تفعلون ذلك؟! فسألته عما فعلناه فأجاب قائلا: " كيف تتجرأون وتقومون بتحويل أم كلثوم إلى تمثيلية تليفزيونية؟!" فقلت له: " وما العيب في ذلك؟" فرد قائلا: " ألا تعرفون مكانتها ومنـــزلتها عندنا؟" فرددت قائلة : "ليس عندكم وحدكم!" فاستطرد متسائلا: " هل تعتقدون أنكم تستطيعون تجسيدها مثلما تعيش في نفوسنا؟!" فقلت له: " نتمنى أن ننجح في تحقيق ذلك، وأرجو أن تدعو الله أن يحدث ما نتمناه"، فعقب قائلا: " لا أعتقد! وأنا بالمناسبة معجب بكِ وبكل أعمالِك وأنا أحذرِك من أن مثل هذا العمل سيكون كبوة كبيرة لكِ ولرصيدِك الفني!" ولا أستطيع أن أصف لكم مشاعري، وقد كنت في هذا الوقت في مرحلة المونتاج للمسلسل، وظل صدى هذا الكلام في أذني حتى انتهاء عرض العمل، وكلما يقولون لي إن العمل نجح لا أصدق! فهذا ما حدث تماما، وعندما كان يسألني أحدهم عن عملي القادم وأعلن له إنه عن أم كلثوم لا أرى سوى اتساعا مذهولا في العيون ولا أسمع سوى لسانا يهتف: "هل هذا معقول؟!" وكأنه كثير علينا تنفيذ هذا العمل، فكنا أمام تحدٍّ، وهذا التحدي جعلني لا أفعل أي شيء آخر ولمدة عامين كاملين سوى الإعداد لمسلسل "أم كلثوم".

فقد كان الأستاذ محفوظ عبد الرحمن يكتب وكنت أنا أقرأ بعض المراجع التي نأخذ منها المعلومات، وقد كنت أقرأ المراجع التي كُتبت عن كل الشخصيات الموجودة – وليست أم كلثوم فقط – مثل القصبجي والسنباطي وأحمد رامي وغيرهم، وأقوم بجمع الصور الفوتوغرافية الخاصة بهم جميعا، فعن أم كلثوم وحدها جمعت حوالي ١٥٠٠ صورة تمثل المراحل المختلفة في حياتها. وسمعت كذلك كل أغانيها وكل أحاديثها الإذاعية وخصوصا الحلقات الإذاعية المسلسلة التي سجلها معها الأستاذ وجدي الحكيم عن حياتها الشخصية، وهكذا بالنسبة للشخصيات الأخرى. وأنا لم أقابل أية شخصية من هؤلاء ما عدا سيد مكاوي وبليغ حمدي، أما الآخرون فكانت علاقتي بهم مثل علاقتكم بهم بالضبط.

ومن خلال هذا المجهود المبذول خلال عامين كاملين، استطعت اختيار شخصيات الممثلين، فمثلا اخترت صابرين وأخفيت اختياري هذا على مدى هذين العامين لأنني كنت خائفة من ردود الفعل، فالناس لم تكن تتصور أننا سنجسد شخصية أم كلثوم، فكيف سيكون الحال إذا عرفوا أن صابرين هي التي سوف تتقمص دور أم كلثوم؟! فاضطررت في البداية أن أتكتم الخبر، ثم اضطررت أن أعلنه بعد ذلك لأننا بدأنا ندخل في طور التنفيذ وسيكون هناك تفصيل للملابس وغيره، فأعلنا ذلك في القناة المصرية في برنامج "صباح الخير يا مصر"، وكان للخبر وقع الصاعقة، ليس فقط على جمهوري العادي وإنما على رئيس قطاع الإنتاج في هذا الوقت والذي كان زميلا مخرجا وهو الأستاذ يحيى العلمي رحمه الله، وحتى على رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون نفسه، وتصور الجميع إنه قد أصابني مسٌّ من الجنون! وتساءلوا كيف سيحدث ذلك؟ كيف ستجسد صابرين دور أم كلثوم وهي ليست من نجوم الصف الأول ولا يوجد شبه بينها وبين أم كلثوم؟! لدرجة أنهم قالوا لي: "هذا اختيارك ولا نستطيع أن نطلب منك تغييره إلا أنه عليك أن تتحملي النتائج المترتبة عليه."

وبهذه المناسبة، أحب أن أنوه إنه لا أحد يتدخل في اختياراتي، ومن الصعب أن يفرض أحد على مخرج أن يترك ممثلا ويختار آخر إلا إذا كان المخرج يعمل تحت إمرة منتج يعمل بماله ويُملي على المخرج أوامره.

المهم إنني تحملت اختياري لصابرين طوال الإعداد للمسلسل الذي كان ذا إنتاج كبير، وطوال الوقت كنا نتقدم بطلبات مطلوب توفيرها لإنجاز المسلسل، وكانت تتم الموافقة على هذه الطلبات بتعثر شديد جدا ولسان حالهم يقول "ما الذي يمكن أن تفعلونه؟!"

ولا أخفي عليكم، لقد كنت صلبة ظاهريا وواقفة في تحدٍّ إلا أن موقفهم هذا زرع القلق بداخلي فظل ملازما لي طوال الوقت، كما لو كنت في امتحان من الممكن أن أنجح فيه أو أن أفشل.

لماذا اخترت صابرين ولم أختر أية ممثلة أخرى؟ اخترتها أولا لأنني وجدت في التسجيلات الإذاعية لأم كلثوم التي سمعتها والتي يعود تاريخها إلى سنة ١٩٧٢ أي قبل أن تكف أم كلثوم عن الغناء بعام واحد أشياء شجعتني على هذا الاختيار – وكما نعلم ظلت أم كلثوم تغني من سن سبع سنوات وهي المولودة قبل القرن العشرين بعام واحد وحتى عام ١٩٧٣، بمعنى أن حياتها الغنائية تمتد لبضع وستين عاما متصلة، وكان آخر أداء غنائي لها على المسرح في حفلة يناير ١٩٧٣ حيث غنت "القلب يعشق كل جميل" و "إنت الحب"– وفي هذه التسجيلات التي أجراها معها الأستاذ وجدي الحكيم في ١٩٧٢، حاولت من إنصاتي لها أن أرسم شكلا لشخصيتها من خلال صوتها، فوجدت أنها وهي التي تربعت في هذا الوقت على القمة الفنية بل والثقافية أيضا مازالت تحتفظ باللهجة التلقائية وباللكنة الريفية، وأنها كانت تتحدث ببساطة شديدة جدا وأنه حتى في حديثها المرسل يظهر وكأنها ضعيفة في اللغة العربية على الرغم من إنها كانت قوية جدا فيها. فقلت إن الممثلة التي تجسد دور أم كلثوم لا بد أولا أن تحمل ملامح الفتاة البسيطة القروية وأن تكون بها تلقائية شديدة جدا ولابد أن تحمل سمرة المصريات أو بنات الريف، فقد بدأت أم كلثوم كجامعة للقطن. وفي رمضان ١٩٩٧، كان لصابرين مسلسلان يُعرضان، مسلسل "جمهورية زفتى" الذي كانت تمثل فيه دور فلاحة ومسلسل "هوانم جاردن سيتي" والذي كانت تؤدي فيه شخصية هانم، فلخصت في نظري تطور حياة أم كلثوم. كذلك، صابرين تغني وكانت تحيي بغنائها أفراحًا في وقت من أوقات حياتها، فمن يجسد شخصية مطربة في المقام الأول لابد أن يكون لديه فكرة عن فن الغناء، وكانت صابرين بالمناسبة من البارعين في فن التقليد، ومن تابعوا صابرين وهي تغني قالوا إن من أجمل مشاهد مسلسل "أم كلثوم" هي مشاهد صابرين وهي تغني أغاني أم كلثوم، لدرجة إنه قيل إن صابرين جمَّلت أغاني أم كلثوم، لقد كان الصوت لأم كلثوم إلا أن الأسلوب الذي اتبعته وهي تغني هو الذي جمَّل هذه الأغاني لأكثر من سبب. وقد ارتبطت الأغاني – في أغلب الأحيان – بموقف درامي، فالأغاني كانت موظفة داخل العمل، فمثلا في وفاة بيرم التونسي غنت "هو صحيح الهوى غلاب" وكانت تبكي، طبعا أم كلثوم عندما غنت نفس الأغنية لم تبكِ على المسرح، إلا أننا ربطنا بين الأغنية وبين الحدث الذي عبرت عنه صابرين أثناء الغناء بدموعها. وأيضا، وهي تغني "الأطلال" وهي آخر أغنية شارك القصبجي في بروفاتها وتوفي قبل أن تغنيها أم كلثوم على المسرح – وقد ظل القصبجي بالمناسبة مرافقا لأم كلثوم وعازفا في فرقتها منذ أن التقى بها في عام ١٩٢٦ وحتى وفاته عام ١٩٦٦ إلا أنه كان قد توقف عن تلحين المونولوج والأغنية

الطويلة لها منذ عام ١٩٤١ بتلحينه لأغنية "رق الحبيب"، لكن لحَّن لها بعد ذلك ثلاث أغنيات قصيرة في فيلم "فاطمة" – فهنا ربطنا الموقف الدرامي بالأغنية وجعلناها تبكي وهي تغني "الأطلال" حزنا على وفاته.

وكان يوجد نقاش بيني وبين العاملين معي حول تصوير أغاني أم كلثوم، وقالوا لي إنه كان يتم تصوير أم كلثوم من جانب واحد وهو الجانب الأيمن وإن ذلك كان يحدث في لقطات واسعة، فالكاميرا لم تكن تقترب منها على الإطلاق لأنه كان يوجد بعينيها بروز نتيجة لمرضها بالغدة الدرقية، فقلت لهم إنني أريد أن أعوِّض للناس ما لم يروه من أم كلثوم، والممثلة هنا ليس بعينيها هذا العيب وأنا أريد أن أقرب الأغنية من عيون الناس وآذانهم وخصوصا إن الأغنية هنا مرتبطة بموقف درامي، فإن لم تقترب الكاميرا في لقطة كبيرة أو كما نطلق عليها **Close-up** ، فسوف يضيع الموقف الدرامي. وهكذا، شاهد الناس أغاني أم كلثوم بشكل جديد في المسلسل من خلال صابرين في اللقطة الكبيرة وفي الأغنية المرتبطة بالحدث الدرامي.

ومن ضمن المعضلات في مسلسل "أم كلثوم" هو اختيار شخصية الطفلة ذات السنوات السبع التي لعبت دور أم كلثوم في هذه المرحلة العمرية المبكرة، فلو لم أحسن اختيارها لأعرَضَ الجمهور عن المسلسل منذ بدايته، وهذه الطفلة "سهر" اخترتها من بين خمسين طفلة وبعد اختبارات متتالية، وأحب أن أذكر أنني قد بدأت أولا باختيار صابرين، ثم كان عليّ أن أختار سهر وريهام – التي مثلت بدورها مرحلة الصبا – شبهًا لصابرين. وهكذا، لم يكن عليّ فقط أن أختار من تؤدي أداء جيدا ومن تجيد فن الإلقاء – أي ما نسميه الـ**scene chron**ـ بمعنى تطابق الشفاه مع التسجيل الغنائي– إنما أيضا كان لابد من توافر عنصر الشبه. فاخترت سهر ثم اخترت ريهام، وريهام كانت الوحيدة التي تغني بصوتها وقد جاءتني ريهام مع مجموعة كنت أختبرها مع الأستاذ عمار الشريعي لإلقاء التواشيح – وبالمناسبة لم تكن عندنا أية تسجيلات لأم كلثوم في مرحلة إلقاء التواشيح وإنما كتبها جميعا المرحوم الأستاذ عبد السلام أمين ولحنها الأستاذ عمار الشريعي – وأثناء الاختبار نظرت إلى ريهام وقلت لها: " أنت لن تغني فقط بل ستمثلين أيضا"، فخافت الفتاة وقالت لي إنها لم تمثل في عمرها كله فطمأنتها وأكدت لها إنها ستمثل وستغني في المسلسل، وقلت إن أم كلثوم إذا كانت في الرابعة عشر من عمرها لا يمكن أن تكون مختلفة عن هذا الشكل، ومن حسن الحظ أن تحمل ريهام بعضا من ملامح صابرين وسهر.

وقد مكثت أدرب ريهام حوالي أربعة شهور متتالية، وعندما دخلنا التصوير كانت هذه مغامرة، فسهر كان لديها تجارب تليفزيونية وطبعا صابرين أساسا ممثلة أما ريهام فلم تكن لديها أية تجربة على الإطلاق ولم تكن تعرف ماذا تعني الكاميرا! فكنت في أول يوم تصوير قلقة لذلك وعصبية للغاية، ويبدو أن هذه المشاعر قد وصلت للفتاة فبكت وطلبت أن تعود للبيت! وفكرت فوجدت أنني أحمِّل الفتاة أكثر مما تحتمل وقررت أن أغيِّر من طريقتي وقد رأيتم نجاح ريهام على الشاشة.

وعن الأستاذ كمال أبو رية، فقد كنت قد شاهدت له أدوارا مختلفة قبل ذلك، وكنت أرى أنه من الممكن أن ينجح إذا مثل دور شاعر أو مفكر. وقد كنت كلما أختار ممثلا للدور، كان يأخذ مع السيناريو الـ**data** التي ظللت أجمعها لمدة عامين، فمثلا يأتي الأستاذ كمال أبو رية فيأخذ مع السيناريو كل المقالات التي كُتبت عن الأستاذ أحمد رامي وكل الكتب التي صدرت عنه وشرائط الأحاديث الإذاعية أو التليفزيونية والصور الفوتوغرافية المتاحة، فأنتم شاهدتم كمال أبو رية في دور أحمد رامي عندما كان يجلس مثلا كان يضع يده بطريقة معينة أو يكرر حركة معينة، كل ذلك من الصور.

وهذه الصور الفوتوغرافية التي جمعناها، أخذت مصممة الأزياء نسخة منها وقلدت كل ملابس العصر وفي الحالات التي لم نكن قد وجدنا صورا لعصر من العصور الأولى للمسلسل، اجتهدنا قدر الإمكان.

كذلك، مصمم الديكور أخذ هذه الصور وعلى أساسها تم تصميم الديكور وخاصة المنازل التي تنقلت بينها أم كلثوم في مراحل حياتها المختلفة قبل أن تستقر في فيلتها في الزمالك، وكان لا يزال هناك منـــزل قائم فيه وهي عمارة بهلر في الزمالك، وعلى أساس تصميمها المعماري أدخلنا زخارفها الخارجية على الديكور الداخلي. أما فيلا أم كلثوم التي تهدمت فكان لها صور في بعض المجلات، أخذنا هذه الصور ونفذنا تفاصيلها بالنسبة للأثاث والديكور الداخلي للفيلا، إلا أننا –للأسف– لم نستطع أن نحقق ذلك في واجهة الفيلا، فقد كان لها شكل متميز وكان من الصعب تنفيذه إلا إذا بنيناه وهذا يشكل تكاليفًا باهظة، وأنا كنت أتمنى لو بُني فقد كان سيصبح ذلك أثرا جميلا في مدينة الإنتاج الإعلامي.

أما الماكياج، فقد أخذ الماكيير نفس الصور وقرَّب بين الممثلين الذين اخترتهم وبين الشخصيات الحقيقية، وأنا أذكر أن الأستاذ سمير صبري – والذي كان يمثل أيضا دور أنور وجدي في المسلسل – قد دخل ذات يوم ليجد صور الممثلين

فخرج مندهشا للغاية قائلا: "إن هؤلاء ليسوا ممثلين وإنما هي الشخصيات الحقيقية التي أعرفها جيدا"، ومن المعروف أن سمير صبري له باع طويل في الفن ومع الفنانين، وبالفعل كان الماكيير ماهرا جدا إذ استطاع تقريب المسافة بين الصورة والحقيقة، بين الممثل وبين الشخصية التاريخية التي يتقمصها.

وقد سألتني صابرين قائلة إنها تعرف أم كلثوم في المرحلة الأخيرة من حياتها، لكن كيف ستقلدها وهي شابة في العشرينيات من عمرها؟ فحذرتها من التقليد، وطلبت منها أن تعرف الخلفيات ثم تقرأ المشهد وتعيش فيه وأن تندمج فيه وتؤديه بإحساس عالٍ من المصداقية، ثم قلت لها: " اجعلي الناس تصدقك ولا تفكري في مقدار ما وصلتِ إليه من الشبه بأم كلثوم." وقد كان.

في فترة التحضير، من الممكن أن يقرأ المخرج مراجع ويختار طاقم الفنيين من مهندس ديكور إلى مصمم أزياء إلى طاقم إخراج إلى طاقم الإنتاج بأكمله، إلى اختيار طاقم الممثلين وإجراء بروفات معهم وحتى أقل التفاصيل، فأنا لست من المخرجين الذين يعتبرون أن التمثيل مسئولية كل ممثل، فالممثل أهم أداة عندي، فهو الذي لو أحسن تقمص الشخصية سواء كانت تاريخية أو عادية فسيوصل من خلال هذا التقمص فكر الكاتب وروح المخرج. والشخصية التاريخية على وجه الخصوص تتطلب قدرا عاليا من المصداقية والتي من الممكن أن نحاسب عليها، بمعنى أن الممثل في تمثيله للشخصية العادية فهو يؤدي شخصية لا نظير لها، أما الشخصية التاريخية فسوف نحاسب على أساس مدى اقترابنا من هذه الشخصية أو ابتعادنا عنها. إذن، فأنا أساعد الممثل إلى حد كبير على تقمص هذه الشخصية، ومن الممكن أن أعيد المشهد أكثر من مرة حتى أحصل على أفضل أداء للممثل أو لمجموعة الممثلين بشكل عام.

ومرحلة التنفيذ التي يقوم بها المخرج تكون خارج الاستوديو، أما عندما ندخل الاستوديو فنبدأ في الحديث عن الكاميرا وحركة الممثلين وغيره، وللمخرج أدوات، فلقطات الكاميرا وحركتها وحركة الممثلين داخل الكادر وداخل المشهد الواحد، كلها مسئولية المخرج، ولنا مصطلحات ولغة خاصة بنا، فأحجام اللقطات وحركة الكاميرا كلها لها مصطلحات وكل ذلك يجب أن يكون مذكورا على اسكريبت يوم التصوير.

وحتى أقرِّب الصورة أكثر لكم، سوف أروي لكم ماذا أفعل في يوم من حياتي خلال التنفيذ، إذ أستيقظ في الخامسة صباحا وأقوم بعمل الواجب.. فما هو هذا الواجب؟ إن الحلقات التليفزيونية بعد أن ننتهي من تأليفها وطبعها –

وقد تكون مثلا ٣٠ حلقة – تتحول إلى جدول عمل، يقوم مساعد المخرج أو المخرج المنفذ بتفريغ الديكورات ليعرف هذا الديكور به كم مشهد وكم سيكون عدد الممثلين به وهل هؤلاء الممثلين عندهم ملابس راكور – بمعنى إنه سبق استخدامها في عمل آخر– وهكذا تتحول كل هذه التفاصيل إلى ملفات وعلى أساسها يأتي المخرج المنفذ ليقوم بعمل جدول عمل، من هم الممثلون لمشاهد اليوم وماذا عن ملابسهم وماكياجهم وما مراحله؟ ففي العمل التاريخي أحيانا يقوم الممثل بأداء مرحلتين عمريتين في يوم واحد، فيصغر سنه ثم يكبر في يوم واحد. كل ذلك نعرفه من خلال التفريغ الذي أنجزه المخرج المنفذ والذي يتم تنفيذه بدقة لأنه أحيانا يكون مثلا لدينا تصوير خارجي في سقارة، وتم نسيان راكور – وقد يكون شيئا صغيرا وبسيطا للغاية – في مصر الجديدة، فهذا النسيان يُلغي يوم عمل ويوم تصوير.

المهم، آخذ أنا هذا التفريغ صباح يوم العمل وأحوله إلى ما نسميه الـــ**decoupage** أو الـــ**cutting** أو التقطيع وهي أدوات المخرج، ولا أستطيع أن أعطيها وقتا محددا تنتهي فيه، لكن من الخامسة وحتى العاشرة صباحا تقريبا أقوم بعمل هذا الواجب، ثم أغادر مترلي وأتجه للاستوديو وأقوم بتنفيذ هذا الـــ**decoupage** مع الممثلين عن طريق الحركة الدرامية فأقول لهم أن يتحركوا بهذا الشكل أو ذاك وفي هذا الاتجاه أو الاتجاه الآخر وهكذا، وكذلك، مع المصورين ومع مديري الإضاءة وغيرهم، وعلى أساس هذا الـــ**decoupage** يتم التصوير والتسجيل خلال اليوم كله. ولكل مخرج رؤية أو وجهة نظر بمعنى لو تم إعطاء نفس المشهد لاثنين من المخرجين فسوف يخرجه كلا منهما بأسلوب وبطريقة مختلفة. وبالنسبة لي فإن تركيزي يكون في المقام الأول على الممثل، على أساس إنه العنصر الأول في العمل الفني أو هو الرابط الذي يربط بين مبدعي العمل وبين المشاهد، ولذلك فالممثلون في أعمالي يكونون مختلفين عن أي عمل آخر.

وبشكل عام، توجد مرحلتان في التصوير: مرحلة تصوير داخلي ومرحلة تصوير خارجي. ومرحلة التصوير الخارجي للعمل التاريخي تكون شاقة للغاية، وذلك لأننا بلدٌ بلا ذاكرة، فلكي نبحث عن مكان يحمل سمات العصر المطلوب للتصوير، يأخذ ذلك جهدا ووقتا طويلا للغاية. وفي مسلسل "أم كلثوم" كانت المسألة محدودة قليلا، إلا أننا تعبنا أيضا في إيجاد مسارح تحمل سمات العصر. إنما في مسلسل "قاسم أمين"، فقد شكَّل هذا البحث مشكلة كبيرة جدا، فأحداث هذا المسلسل تقع قبل عصر مسلسل "أم كلثوم" بعشرات السنين، فلا يوجد سيارة ولا مذياع ولا ملابس عصرية، فواجهنا صعوبة شديدة في إيجاد أماكن تحمل سمات العصر، فكنا نعيد اللقطة في مسلسل "قاسم أمين" عدة مرات، وأقول اللقطة وليس المشهد، فالمشهد هو ألا نغير المكان الذي يدور فيه الحدث وقد يحتوي المشهد على عدد من اللقطات يبدأ بواحدة وقد ينتهي إلى مائة لقطة. وفي التصوير الخارجي، نصور مثل أسلوب السينما لقطة تلو اللقطة، فالمشهد المكون

من عشرين لقطة يعني أننا سنصور عشرين مرة، هذه المرة التي نتحدث عنها يمكن أن تعاد بدورها عشرة أو عشرين مرة لمجرد أن تظهر أية سمة من سمات العصر في الكادر صوتا أو صورة.

ومع ذلك، حاولنا بقدر الإمكان أن تكون درجة المصداقية الفنية عالية جدا في هذه الأعمال التي تجسد شخصيات تاريخية، وينطبق ذلك على كل العناصر، فليس الممثل فقط، إنما الممثل والمكان والإكسسوار والكوب بل والصينية أيضا! وسأحكي لكم واقعة طريفة جدا حدثت في مسلسل "أم كلثوم"، فقد أحضر الفنيون إكسسوارات كبيرة تحمل سمات العصر، وبذلوا جهدا كبيرا، في حين لم يبدوا اهتماما مماثلا بإكسسوار صغير مثل صينية التقديم، فأخذوا يحضرون لي صوانيًا وأنا أعترض وأقول لهم إنها غير مناسبة للعصر وسوف يلاحظها الجمهور، وفي النهاية أحضرت صينية من بيتي وظهرت على أنها صينية فضية، فأخذها مسئول الإكسسوار فأخذ ينقلها من البيت إلى المكتب إلى السراية، فطلبت منهم أن يحضروا صينية أخرى لأن هذا تكرار مُلفت فأجابوني قائلين إنه لا يجب أن أدقق على هذه الأشياء البسيطة وإنه بين كل مشهد وآخر وقت طويل ولن يلاحظ أحد هذا التكرار. وبعد انتهاء عرض المسلسل، أشاد الأستاذ صلاح منتصر عدة مرات بالمسلسل، وفي المرة الخامسة كتب مقالة تحت عنوان "صينية أم كلثوم!" وقال إنه على الرغم من أن كل الإكسسوارات التي كانت تحمل روح العصر كانت ممتازة بدقة شديدة، ولكن كانت هناك "صينية حائرة" انتقلت من البيت الريفي إلى البيت المتوسط إلى القصر إلى المكتب!

وعند بداية العمل في مسلسل "قاسم أمين"، كنت قد احتفظت بهذا المقال، فوقفت لهم بالمرصاد وطلبت منهم ألا يقول لي أحد إنني أدقق على كل صغيرة وكبيرة وألا نعتمد على أن الأمر لن يلاحظه أحد، فكل التفاصيل بدءا من أثاث البيت وحتى الكوب، كل شيء يجب أن يحمل سمات العصر. فالمصداقية في مثل هذه الأعمال بدءا من أداء الممثل مرورا بالديكور والملابس وانتهاء بأصغر التفاصيل، لها كلها أهمية قصوى تصقل العمل، فأي عنصر من عناصر الإعداد مهما بلغ صغره لو لم يتم تحقيقه بشكل جيد فمن شأنه أن يكسر مصداقية العمل الفني التاريخي ويؤدي إلى أن تضل الرسالة طريقها إلى المشاهد.

وبمناسبة ذكر الملابس، أحب أن أتحدث عن ملابس الأميرة نازلي فاضل وهي الشخصية التي كانت تلعب دورا كبيرا ومهما في مسلسل "قاسم أمين". فقد كانت أميرة تساهم – خاصة في الجزء الأخير من المسلسل– في دعوة تحرير المرأة. وكنا نقوم بعمل التصميمات الخاصة بالملابس ومن ضمنها ملابس الأميرة، وأثناء مناقشتي مع مصممة الأزياء –

الدكتورة سامية عبد العزيز وهي أستاذ ورئيس قسم الأزياء في معهد السينما – طلبت منها إعادة تصميم ملابس الأميرة نازلي وقلت لها إن هذه التصميمات شبيهة بتصميمات ملابس مسلسل "بوابة الحلواني"، وإن هذه أميرة مختلفة، فهي الأميرة الوحيدة السافرة في مجتمع من النساء المحجبات تقود صالون كل رواده من الرجال ولها دور في تحرير المرأة وليس انحلال المرأة! وطلبت منها أن تصمم ملابس رقيقة جدا وأنيقة جدا وأيضا محتشمة جدا، فلم أكن أريد للأميرة التي ستجلس لتتحدث في أمور ثقافية أن ينظر مستمعوها إلى فتحات الصدر أو مظاهر الأنوثة في جسدها، وهكذا أعادت مصممة الأزياء تصميم كل ملابس الأميرة نازلي. ولذلك فلابد وأن تُستخدم الملابس أيضا استخداما دراميا وليس أن تكون مجرد مظهر للممثلين يتم بشكل عشوائي.

أيضا في مسلسل "قاسم أمين"، كانت هناك إشكالية وجود فريق تركي وفريق يتحدث بالإنجليزية وثالث بالفرنسية وغيرهم، وفي فترة التحضير قابلت عددا كبيرا جدا من الممثلين حتى أجد من يتوافر فيه عنصر إجادة اللغة والسمات الغربية أيضا أحيانا، وفي نفس الوقت أحضرنا خبراء لغة في التركية والفرنسية والإنجليزية بل وفي العربية الفصحى أيضا لأن أي عنصر من العناصر سواء أكان صغيرا أو كبيرا لو لم يتم تحقيقه جيدا فمن شأنه أن يكسر مصداقية العمل الفني التاريخي وتضل الرسالة في طريقها للمشاهد.

بلا شك، إن مسألة الإخراج متشعبة وكبيرة وكثيرة التفاصيل، لكن هناك ورقة جميلة للغاية أحب أن أعرضها، ووضعت لها عنوان "رؤية المخرجة" وأتحدث فيها بالتفصيل عن إخراج مسلسل "قاسم أمين"، وقد وضعت هذه الورقة كمقدمة للكتاب الثاني الذي طُبع فيه سيناريو المسلسل وكان قد وضع مقدمة الكتاب الأول الذي صدر لنفس الغرض كاتب المسلسل الأستاذ محمد السيد عيد، والكلمة هذا نصها:

كان اختياري لشخصية قاسم أمين لتكون موضوع المسلسل التالي لي بعد مسلسل "أم كلثوم" يحمل تحديا أكبر، فإذا كان الاختيار الصعب في مسلسل "أم كلثوم" هو كيف أجسد على الشاشة هذه الأسطورة الماثلة في الأذهان، فالتحدي الذي تصديت له في مسلسل "قاسم أمين" هو كيف ستتحول شخصية أقل جاذبية من شخصية أم كلثوم – البعض يجهلها والبعض الآخر له تحفظات عليها، هذا بالإضافة إلى أن منتَجها هو كتب بما تحويه من فكر– أقول كيف ستتحول هذه الشخصية إلى مادة درامية جاذبة؟ بالتأكيد، سيحدث بينها وبين مسلسلي السابق "أم كلثوم" منافسة

ومقارنة، وبالفعل حذرني أصدقاء كثيرون من نتيجة ذلك، وأشفق عليّ البعض الآخر وقالوا لي بصراحة إنني أغامر برصيدي من النجاح الذي حصدته من مسلسل "أم كلثوم" والذي كانت ردود الفعل عليه من الخليج إلى المحيط.

ولكنني بإصرار وبعناد قبلت دخول الامتحان الذي وضعت نصب عيني أن تكون نتيجته في نهاية عرض المسلسل، إن من يجهل دور هذا الرجل سيعلم عنه الكثير، وإن من ظلمه أو لم يفهم مقصد دعوته سوف يغير موقفه ورأيه، وذلك بدافع من إيماني الشديد بأن هذا الرجل سبق عصره بمئات السنين، ولأنه رجل عدالة ارتفع عن النظرة العنصرية الضيقة لكونه رجلا واستشعر الظلم الواقع على المرأة وربط ربطا شرطيا بين تقدم أمته التي عشقها وبين تغير وتحسين وضع النساء في عصره، وذلك بتربيتهن وتعليمهن وإعدادهن مبكرا لدخول ميدان العمل.

هذه الدعوة الجسور في عصرها – التي كان لها وقع الزلزال على المجتمع وقتها والتي جرَّت من جرائها على الرجل الكثير من المتاعب والإهانات – سرى مفعولها عبر الأجيال، وإلى الآن نقطف نحن النساء ثمارها بل وتقطف ثمارها أمتنا بعد أن أثبت الزمن أن تقدم أية أمة مرهون بدور فعَّال وإيجابي للمرأة فيها داخل الأسرة أو في المجتمع بشكل عام.

وعلى الرغم من اختياري موضوع المسلسل من الماضي، فإنَّ عين المبدع – مؤلفا أو مخرجا – كانت دائما على الحاضر، هذا الحاضر الذي يشهد الآن – وللأسف – ردة مجتمعية توشك المرأة فيها أن تتراجع عن مكاسب لها ناضل من أجل الحصول عليها – قبل عصر قاسم أمين – الشيخ رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك والإمام محمد عبده وأحمد لطفي السيد ثم تسلمت الراية رائدات على رأسهن هدى شعراوي وسيزا نبراوي.

وعندما استقر رأيي حول موضوع المسلسل، حزمت أمري وتوجهت للأستاذ مدحت زكي رئيس مجلس إدارة صوت القاهرة وقتذاك والذي كان حريصا على أن ينتج مسلسلي الذي يلي مسلسل "أم كلثوم" من خلال شركة صوت القاهرة، تلك الشركة التي جنت الكثير من ثمار نجاح مسلسل "أم كلثوم" حيث كان من آثار هذا النجاح هو ازدهار مبيعات شرائط أغاني أم كلثوم التي تحتكر الشركة إنتاجها ازدهارا حقق مكاسب كبيرة للشركة التي كانت قد أوشكت على إغلاق مصانع الكاسيت بها. وخلال هذا اللقاء، اتفقنا – الأستاذ مدحت زكي وأنا – على أن يكون كاتب السيناريو رجلا مثل ما كان قاسم أمين الذي حمل لواء دعوة تحرير المرأة رجلا، واستهدف هذا الاختيار أيضا أن نجذب إلى مشاهدة المسلسل الرجال قبل النساء. ووقع الاختيار على الأستاذ محمد السيد عيد بما له من خبرة وحنكة في كتابة

المسلسلات التاريخية وأيضا بما له من رؤية واعية مستنيرة، وفي منتصف مايو تقريبا عام ٢٠٠٠ ، التقينا معا بمكتب الأستاذ مدحت زكي بشركة صوت القاهرة واتفقنا على بدء العمل.

أولا: فترة التحضير:

استغرق التحضير للمسلسل عاما كاملا من مايو ٢٠٠٠ وحتى ٢١ مايو عام ٢٠٠١ وهو اليوم الأول الذي دارت فيه عدسات الكاميرا داخل بلاتوه (ج) بمدينة الإنتاج الإعلامي. وخلال هذا العام قام الأستاذ محمد السيد عيد بكتابة السيناريو، وقمت أنا بمراجعة الحلقات ومناقشتها معه وقراءة بعض المراجع عن الفترة التاريخية التي تدور فيها الأحداث وعن الزعماء والملوك والشخصيات التاريخية التي جاء ذكرها بالمسلسل. قمت أيضا باختيار طاقم الفنيين المتعاونين معي من مهندس ديكور إلى مصممة أزياء، وكذلك مؤلف الأغاني ومؤلف الألحان والموسيقى التصويرية وطاقم الإنتاج والإخراج ... إلخ.

وبدأت خلية النحل، كل فرد فيها يقوم بمهام اختصاصه، على سبيل المثال المخرج المنفذ عصام شعبان يقوم بتفريغ الحلقات التي تم طبعها ومراقبتها ويحولها إلى جدول عمل، مصممة الأزياء الدكتورة سامية عبد العزيز تقوم بعمل تصميمات الملابس لكل شخصية في المسلسل من خلال مراجع خاصة بالفترة التاريخية وأيضا بالتردد على المتاحف وأنا بصحبتها لاستيفاء معلومات أكثر ثم اطلاعي على هذه التصميمات وإبداء رأيي بالموافقة أو التعديل، وهكذا مهندس الديكور الأستاذ نبيل سليم حيث قمنا سويا بجولات للبحث واختيار واجهات المنازل والقصور المناسبة للعصر قبل رسم خرائط تصميمات الديكورات الداخلية التي ستُشيَّد داخل الاستوديو وذلك حتى يدخل في هذه التصميمات الأسلوب المعماري في بناء الواجهة الخارجية، فتتحقق بذلك المصداقية الفنية حيث يصبح الديكور الداخلي المشيد في الاستوديو امتدادا للواجهة الخارجية التي تصور من أرض الواقع وهكذا تم بنفس النهج اختيار باقي عناصر العمل الفني توخيا للوصول إلى درجة عالية من المصداقية لسمات العصر التاريخي الذي تنتمي إليه الحلقات.

وكان أصعب هذه العناصر تحقيقا هو اختيار فريق الممثلين، فالمسلسل نظرا لطبيعة عصره تضمن عدة فرق، فريق تركي يتحدث العربية بلكنة تركية يتداخل معها بعض الكلمات التركية، فريق آخر يتحدث الفرنسية وفريق ثالث يتحدث الإنجليزية، هذا بالإضافة لاستخدام العربية الفصحى في بعض المشاهد. لذا تطلب الأمر عدة لقاءات واختبارات لعدد كبير من الممثلين والممثلات الذين يتوافر لديهم شرط إجادتهم اللغة الفرنسية أو الإنجليزية كل حسب دوره بالإضافة إلى توافر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الملامح الأجنبية للممثل أو الممثلة وتطلب الأمر أيضا وجود خبراء في اللغات الأربع: التركية والفرنسية والعربية والإنجليزية لتدريب ممثلي الأدوار الرئيسية والثانوية أيضا الذين يتحدثون في بعض المشاهد بلغات أجنبية أو بالعربية الفصحى. وكان خبراء اللغة هؤلاء يحضرون جلسات البروفات التي تمت أثناء فترة التحضير ويحضرون أيضا أثناء تسجيل هذه المشاهد بالاستوديو.

أما كيف كانت رؤيتي في اختيار ممثلي الأدوار الرئيسية وخاصة الذين كانوا يجسدون شخصيات تاريخية حقيقية فتم على النحو التالي:
كنت قد طلبت من كاتب المسلسل أن يمدني قدر الإمكان بصور متعددة للشخصيات الحقيقية التي جاء ذكرها بالمسلسل وفي مراحلها العمرية المختلفة، وعلى أساس هذه الصور تم اختياري لبعض ممثلي هذه الأدوار الذين توفر فيهم بعض الشبه وتكفل الماكياج – ومن خلال الصور – بتقريب المسافة أكثر من الممثل المختار والشخصية الحقيقية التي يتقمصها.

ولكنني لم أعتمد فقط على الشكل الخارجي، إنما أيضا على سمات الممثل وعلى سمات الشخصية الحقيقية من خلال ما ذكرته المراجع، ومن خلال المواقف الدرامية للشخصية التي جاءت في المسلسل، ولكي أقرب الصورة أكثر إلى أذهانكم سأقدم ملامح من رؤيتي في اختيار ممثلي خمسة من الأدوار الرئيسية بالمسلسل:

١) البطل : قاسم أمين:

كانت سمات شخصية قاسم أمين كما ذكرتها المراجع التي كتبت عنه إنه شاب يتسم بالهدوء والخجل، عزوف عن المجتمعات لكن ثورته الهادرة تكمن في كتاباته التي اتسمت بالنقد الجريء الحاد لكل ما هو سلبي في مجتمعه وأيضا في تمسكه بمواقفه التي لا يحيد عنها طالما آمن بما دعا إليه، كان في تصوري أن كمال أبو رية – الذي أدى دور أحمد رامي في مسلسل "أم كلثوم" باقتدار وهو دور رجل فكر أيضا، هذا بالإضافة إلى أن ملامحه الخارجية توحي بأصول الشخصية الحقيقية التي تختلط فيها الدماء التركية مع الدماء المصرية – هو أقدر وأقرب الممثلين في تقمص هذه الشخصية.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

وكانت وجهة نظري أن أكرر التجربة الناجحة التي خضتها في مسلسل "أم كلثوم" وهو البعد عن النجوم في اختيار بطل المسلسل، فكما اخترت صابرين لمسلسل "أم كلثوم" اخترت كمال أبو رية في مسلسل "قاسم أمين" وكلاهما كان من ممثلي الصف الثاني، لأن هذا الاختيار في تقديري يحقق مصداقية أكثر لمثل هذه الأعمال.

كنت أريد ممثلا لا يأخذ الشخصية إليه حيث تطغى عليها ملامحه إنما يذهب هو إلى الشخصية التي يتقمصها ويذوب فيها.

٢) سعد زغلول:

كان الممثل الذي يقوم بدور سعد زغلول في المسلسل يجسد شخصية سعد زغلول في مطلع شبابه وهي مرحلة لم يرها الجمهور لسعد زغلول من قبل حيث تعود أن يراه زعيما في أخريات عمره، لذا رأيت أن من يجسد سعد زغلول – أول فلاح يعتلي كرسي الوزارة – لابد أن تكون ملامحه نموذجا للفلاح المصري الذي تعلو السمرة وجهه وأيضا توحي الشخصية بما لها من ثقل وحضور بإرهاصات الزعيم، لذلك وقع اختياري على الممثل جمال عبد الناصر وهو من الممثلين الجادين الذين يدرسون أدوارهم جيدا.

٣) محمد عبده:

كان محمد عبده مفكرا ومصلحا دينيا سبق عصره بمئات السنين، وكان من أهم اجتهاداته التفسير العقلي للقرآن الكريم؛ لذلك كان تخيلي للممثل الذي يتقمص هذه الشخصية أن تحمل ملامحه الطيبة والتقوى وفي نفس الوقت الذكاء وسعة الإدراك والعقل المستنير، لذلك وقع اختياري على توفيق عبد الحميد، الذي توحي ملامح وجهه بالطيبة والسماحة بينما توحي عيناه الواسعتان بقدر كبير من الذكاء والثورة، هذا بالإضافة إلى أنه ممثل مثقف وواعٍ يهتم بدراسة أدواره.

٤) سلافا – وسيلة:

هذان الدوران اللذان لعبتهما ممثلة واحدة كانا أصعب دورين قمت بتوزيعهما، وكأن المؤلف يضعني ويضع الممثلة التي قامت بهذين الدورين في اختيار صعب، فالدوران بينهما زاوية ١٨٠ درجة من التباين، فتاة فرنسية متعلمة معتدة بنفسها وأخرى مغنية موالد فقيرة جاهلة، ولقد وقفت حائرة كثيرا أمام هذين الدورين، لدرجة إنني طلبت من المؤلف فصلهما بمعنى أن تقوم بأدائهما ممثلتان وليست ممثلة واحدة، ثم تراجعت حتى لا

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

أفقد عنصر الشبه الكبير بين الشخصيتين والذي يلعب دورا محوريا في تطور الحدث الدرامي. عندئذ، فكرت أن يكون اهتمامي في المقام الأول هو دور سلافا بمعنى أن تكون الممثلة ذات ملامح فرنسية وتجيد الفرنسية إجادة تامة، هنا قفزت إلى ذهني ميرنا وليد، فميرنا لبنانية الأصل، تقترب ملامحها من الفرنسيات وهي أيضا تجيد الفرنسية، وبالإضافة إلى ذلك، فقد مارست فن الغناء من خلال بعض الأعمال الفنية، فهي إن كانت في مسلسلنا لن تغني بصوتها إلا أنها تجيد حرفية الغناء وتجسيده بشكل متقن أمام الكاميرا، ورغم اقتناعي أن ميرنا التي توفر فيها كل هذه الصفات هي الوحيدة التي من الممكن أن تلعب الدورين فإنني ظللت مترددة وخائفة من أن تنوء قدرات ميرنا الفنية وخبرتها التي مازالت في مطلعها بحمل عبء هذين الدورين الهامين، وشعرت ميرنا بما يجول داخلي فأبدت استعدادها لعمل الاختبارات اللازمة، وبالفعل أجريت لها اختبارات بالكاميرا لملابس كل شخصية ومكياجها، وأجريت معها بروفات خاصة في منزلي لاختيار أساليب مختلفة في أداء الدورين والحقيقة أن إخلاص ميرنا وحبها للدورين حقق لها النجاح الذي أحرزته والذي كان مفاجأة سعيدة لي ونقلة فنية كبيرة لها.

٥) الأميرة نازلي:

كان دور الأميرة نازلي من الأدوار الصعبة، أميرة من الأسرة الحاكمة سافرة في مجتمع نساؤه محجبات، مثقفة وعاطفية وتقوم بدور فعال في المساهمة في الدعوة لتحرير المرأة. كان لابد لمن تتقمص هذه الشخصية أن تحمل سمات وجهها الملامح التركية، وأن تتحدث أحيانا بالتركية وأحيانا بالعربية الفصحى وأحيانا أخرى بالإنجليزية أو بالفرنسية، وأن تقنع المشاهد بأنه أمام أميرة بالفعل وإنه أيضا أمام امرأة مختلفة تسعى إلى تعليم المرأة وترقيتها وليس إلى انحلالها وهو دور في غاية الصعوبة، وكنت أمسك في خيوط الدور كلاعب العرائس حتى لا ينحرف الخيط يمينا أو يسارا، وبالحق وبتعاون كبير بيني وبين الممثلة، جسدت هذه الشخصية منال سلامة بكفاءة عالية، وأضاف هذا الدور الكثير إلى رصيدها الفني.

هذه نماذج لخمسة أدوار رئيسية قمت بتوزيعها في المسلسل الذي احتوى على ٣٩٠ ممثلا بين أدوار رئيسية وثانوية بالإضافة إلى أعداد كبيرة أخرى من المجموعات.

ثانيا: فترة التنفيذ:

١) مرحلة التصوير الداخلي:

استغرق تنفيذ العمل من تصوير ومونتاج ومكساج[1] سنة وسبعة أشهر بدءا من ٢١ مايو ٢٠٠١ وحتى ١٨ ديسمبر ٢٠٠٢، بمعنى أن المسلسل استغرق من فترة تحضيره إلى الانتهاء من تنفيذه عامين وسبعة أشهر. احتوى السيناريو على ١٤٠٠ مشهد داخلي وخارجي، ووصل عدد المشاهد الخارجية إلى ٤٠٠ مشهد.

تم تصوير معظم المشاهد الداخلية داخل الاستوديو وبُنيت ديكورات خاصة بها، مثل فيلا قاسم أمين وقصر الأميرة نازلي وقصر مصطفى باشا فهمي ومنزل سعد زغلول في مرحلته الأولى .. إلخ، وتم تصوير البعض الآخر داخل فيلات وقصور خارجية، فقصر سعد زغلول مثلا – الذي انتقل إليه في الحلقات الأخيرة من المسلسل – تم تصويره في بيت الأمة المشيَّد في مدينة الإنتاج الإعلامي وهو قريب الشبه جدا من بيت الأمة الحقيقي، وروعي في الأثاث الذي جهزت به الديكورات الداخلية أن تكون ملائمة للعصر الذي تنتمي إليه الحلقات بكل تفصيلاته الكبيرة أو الصغيرة.

أما فيما يتعلق بالحركة الدرامية داخل المشهد، وأيضا تتابع لقطات الكاميرا وحركتها وما يعرف بالديكوباج أو التقطيع وهي الأدوات الخاصة بالمخرج في مقابل القلم عند الكاتب – فكما قلت، إذا كان الكاتب يعبر عن أفكاره في كتابة عمله بالقلم، فالمخرج يستخدم لقطات الكاميرا وحركتها وحركة الممثلين داخل المشهد لكي يجسد أفكار الكاتب ويدفع فيها نبض الحياة الذي نراه على الشاشة – هذه الأدوات من حركة ولقطات كاميرا لابد أن يدونها المخرج في نسخة السيناريو داخل كل مشهد قبل تصويره ويجري على أساسها بروفاته مع الممثلين والمصورين ومدير الإضاءة، ولكل مخرج أسلوبه في التعبير عن أدواته، فالبعض يوجه اهتماماته إلى جماليات الكادر دون أن يلقي إلى الممثل نفس الاهتمام، والبعض يتعمد أن يشعر المشاهد بوجود المخرج وذلك من خلال حركة كاميرا لا تهدأ أو أحجام كبيرة جدا من اللقطات أو أخرى متسعة وهكذا.

أما الأسلوب الذي اتبعته كمخرجة فهو أسلوب من الصعب تحديده، لأنه أسلوب متنوع تستدعيه طبيعة الموضوع الذي بين يدي. وعموما، فأنا دائما ما أحاول الاختفاء وراء أدواتي بمعنى ألا يشعر المشاهد وهو يتابع العمل بأن هناك حركة كاميرا مفروضة عليه، بل هي تُستدعى عندما يتطلبها الحدث الدرامي، والحركة التي يؤديها الممثلون داخل

[1] مكساج تعني إدخال المؤثرات الصوتية والموسيقى على المشاهد.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

المشهد منطقية توحي للمشاهد كأن واقع الحياة أو التاريخ يعرض أمامه وينسج هذا كله في غزل يساعد الممثل على استخراج أفضل ما عنده من أداء وذلك لأن الممثل عندي – كما قلت – هو أهم أداة لأنه لو استطاع أن يتقمص الشخصية الدرامية بدرجة عالية من الصدق يقنع بها المشاهد إنه أمام شخصية حقيقية، سينجح في نفس الوقت في نقل فكر الكاتب وروح المخرج إلى هذه المشاهد، لذلك لا يقتصر جهدي فقط في أن أجعل أدواتي موظفة لاستخراج أفضل أداء للممثل، إنما أساعده أيضا في تقمص الشخصية وأن أكون مرآة جيدة له، وأن أقوم بتنبيهه عندما يهرب منه عنصر الصدق أثناء أدائه أمام الكاميرا وقد أعيد تسجيل المشهد عدة مرات وصولا لأفضل أداء للممثل أو لمجموعة الممثلين في العمل.

٢) مرحلة التصوير الخارجي:

على الرغم من الصعوبة التي عانيتها في تصوير كل مشهد من المشاهد الألف (عدد مشاهد التصوير الداخلي)، وذلك كما أسلفت بسبب حرصي على تحقيق درجة عالية من المصداقية الفنية في كل عنصر من العناصر الفنية التي يتشكل منها المشهد، فإن ٤٠٠ مشهد (وهو عدد مشاهد التصوير الخارجية) كان تنفيذها غاية في الصعوبة، لندرة وجود الأماكن التاريخية المفتوحة والتي تحمل سمات هذا العصر الذي ليس به سيارات ولا مذياع ولا أية مظاهر عصرية، بمعنى أن ظهور سيارة في الخلفية أو حتى صوت آلة التنبيه بها أو شخص بملابس عصرية يمر على بعد يوقف دوران الكاميرا ويعاد التصوير ليس مرة واحدة بل عدة مرات حتى ينتهي تصوير اللقطة الواحدة وليس المشهد كله.

أيضا، اعتمدت كثير من المشاهد الخارجية على الأعداد الكبيرة والأماكن الواسعة مثل مشاهد المظاهرات والحفلات والأفراح وغيرها، كانت الأعداد بها تصل لأكثر من ٢٥٠ فردًا يتم تجهيزهم بملابس وسمات العصر في وقت محدود خلال يوم تصوير، أما قيادة هذه المجموعات التي كانت غالبا غير مدربة على التصوير فهو أمر بالغ الصعوبة أخذ جهدا يفوق الاحتمال.

٣) مرحلة المونتاج:

من المعروف أن تصوير المسلسل لا يتم بالتتابع الموجود بالسيناريو بل يتم طبقا لجدول بناء الديكورات وظروف الممثلين ..إلخ، لذلك ففي حجرة المونتاج يتم الميلاد الحقيقي للعمل الفني، يتشكل وتتحدد ملامحه وفقا للترتيب المنطقي الذي جاء بالسيناريو، ولكن ليست عملية المونتاج مجرد ترتيب للمَشاهد، إنما هي عملية خلق أخرى ولكن بين

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

المخرج والشرائط التي سجل عليها مشاهد المسلسل التي تم تصويرها، وبمعاونة فني مختص بذلك، فالمخرج في هذه العملية قد يعيد ترتيب بعض المشاهد بشكل مختلف عن السيناريو وقد يحذف البعض ويختصر البعض الآخر وذلك من أجل تكثيف الحدث الدرامي أو ضبط الإيقاع الكلي للعمل، ففي حجرة المونتاج يبلور المخرج رؤيته النهائية للعمل الفني.

فمثلا، في مسلسل "ضمير أبلة حكمت"، كنت أصور للسيدة فاتن حمامة نفس المشهد أربع مرات، وأقوم بعمل مونتاج بين أفضل جملة في هذا المشهد وأفضل جملة في المشهد الآخر حتى أخرج مشهدا جديدا كاملا، ومن الممكن أن نقول إن هذا هو الذي صنع فرقا بين مسلسل "ضمير أبلة حكمت" ومسلسل "وجه القمر".

لذلك أتعجب عندما أسمع بأن أحد المخرجين يكلف أحد مساعديه أو يكلف المونتير بإجراء عملية المونتاج. فمثلا تعد المشاهد التي تحتوي على أغاني هي أصعب المشاهد إذ تستغرق عملية مونتاج الأغنية الواحدة أكثر من ٢٠ ساعة وقد استغرقت مشاهد المظاهرات والحفلات في مسلسل "قاسم أمين" مثلا نفس الوقت تقريبا.

٤) المكساج:

عملية المكساج هي إضافة الموسيقى التصويرية والمؤثرات إلى الحلقة بعد إتمام عملية المونتاج، وتعد عملية المكساج هي المرحلة الأخيرة التي تصبح بعدها الحلقة معدة للعرض على الشاشة. وفي هذه العملية يحدد المخرج أماكن الموسيقى التصويرية بالحلقة بالتعاون مع معد موسيقي، هذه الموسيقى تكون قد أعدت سلفا بالاتفاق مع المخرج ومؤلف الموسيقى التصويرية طبقا لرؤية المخرج الدرامية وأسلوبه في التعبير عن الحدث.

ولا أستطيع أن أختتم حديثي عن رحلتي مع مونتاج ومكساج مسلسل "قاسم أمين" بدون أن تستدعي الذاكرة الثماني وخمسون ساعة التي قضيتها متواصلة بدون نوم لإتمام مونتاج الحلقتين الأخيرتين الواحدة والأربعين والثانية والأربعين حتى أستطيع اللحاق بموعد إذاعتهما، فقد دخلت مبنى التليفزيون يوم الإثنين ١٦ ديسمبر في الساعة الثامنة صباحا وغادرته الساعة السادسة مساء الأربعاء ١٨ ديسمبر.

وأخيرا أقول وبكل الصدق إن مسلسل "قاسم أمين" بحلقاته الواحدة والأربعين يعد أطول وأصعب مسلسل أخرجته طوال مشواري الفني، إلا أنني أشعر بسعادة كبيرة لا توصف لإخراجي هذا العمل الذي أجاد وأخلص في كتابته

الأستاذ محمد السيد عيد، والذي برع فيه أيضا فريق الممثلين في أداء أدوارهم، ولا يرجع سبب هذه السعادة فقط لحصول المسلسل على أكبر عدد من الجوائز من المهرجان العربي الأخير لاتحاد الإذاعة والتليفزيون ولا لردود الفعل الإيجابية التي استشعرتها تجاه المسلسل والتي لخصها كثيرون في أنه احترم عقل المشاهد وأنه قدم الكثير من المعلومات التاريخية التي كانت جديدة عليه، إنما لأن العمل قد أضاف لي مثل باقي المشاهدين الكثير من المعلومات حول هذه الفترة المضيئة في تاريخنا، وأدخل عليّ الكثير من البهجة من صورة تجسدت أمام عيني، وهي أن رجال هذا العصر الذين قدمناهم في المسلسل كانوا يمسكون بأيدي بعضهم البعض كلٌّ في مجاله، ويدفعون بأكتافهم بلادَهم إلى الأمام بكل الهمة والحب. إنها صورة وصَيْحة ومعنى أرسلناها من الماضي وكلنا أمل أن يصل صداها ومحتواها لأبناء هذا الحاضر.

وفي النهاية، أرجو أن أكون قد نجحت في توصيل رسالة المخرج وعمله، وأحب أن أقول إنه مهما تناول المخرج عملا تاريخيا فعينه على الحاضر، فالخطاب من الماضي إلا أن الحدث مازالت إشكاليته لم تُحل وهي قضية المرأة.. وشكرا.

جابر عصفور:

شكرا للأستاذة إنعام محمد علي على هذا الحديث الممتع، وأنا شخصيا رغم إدراكي أن الوقت يجري لكنني منعت نفسي من أن أنبهها لأنني مثلكم كنت مستمتعا بكل ما قالته. وأظن أن ما قالته يقدم لنا درسا جميلا في الإخلاص في العمل والدقة في التنفيذ وهي تُتَهم أحيانا من بعض الممثلين على سبيل الضحك بالديكتاتورية الشديدة، وأظن أننا لم نَرَ ديكتاتورية في هذا اللقاء بل إخلاصًا وعشقًا للعمل ودقةً في إنجازه.

عندنا بعض الوقت لمن يريد أن يسأل أو يعلق ولكن نرجو من كل معلق أو معلقة الاختصار وذكر الاسم.

صفاء فؤاد (أستاذ مساعد بمعهد بحوث الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية):

يشرفني للغاية أن أتقابل اليوم مع الأستاذة إنعام محمد علي، بالطبع ما تحدثت به عن مسلسل "قاسم أمين" كلام جميل جدا، وأنا كنت قارئة تاريخ ممتازة، ولكنني أعترف أن هذا المسلسل قدم لي معلومات تاريخية لم أقرأها، فعلى سبيل المثال، هذه الصداقة الحميمة بين قاسم أمين وسعد زغلول والتي لم أكن أعرف عنها شيئا على الرغم من قراءتي عن كل منهما كثيرا. ولكنني أريد أن أقول إننا ظلمنا الأستاذة إنعام محمد علي عندما حصرناها في مسلسلي "أم كلثوم" و"قاسم أمين"، ونسينا فيلما يعتبر تاريخيا والأخطر أن من أخرجته سيدة وهو فيلم "الطريق إلى إيلات"، فهو فيلم حربي وتاريخي

وعظيم ونشاهده حتى اليوم دون ملل، وأول مرة رأيته فيها كان في تليفزيون الإسكندرية وكان اللواء مصطفى طاهر والذي قام بدوره الأستاذ نبيل الحلفاوي ضيفا على القناة، وقد قالوا له: "هل الجزء الخاص بالتفجير حدث مثلما كان في الفيلم؟" فأجاب بأنه لم يشعر وقتها بذلك، إلا أنه عند رؤيته للفيلم أحس بقدر عالٍ من المصداقية. وكذلك، الضابط الذي حمل جثمان الشهيد الوحيد في العملية، والغريب إن الأستاذة إنعام محمد علي استطاعت توفيق الشبه بين الممثل وبين الشخصية الحقيقية حتى أصبح من الصعوبة التفرقة بينهما.

أيضا، كان هذا فيلما حربيا، ففي أفلام أكتوبر، كان من المعتاد هو تكرار المشاهد المسجلة للحرب، أما أن تصنع المخرجة مشهدا حربيا فهذا شيء كبير. وقد شاهدت في التليفزيون من يقول إن السفينة التي انفجرت قد ضبطت الأستاذة إنعام محمد علي تصميمها بحيث اندهش العاملون من فرط الدقة التي تم بها هذا التصميم ، وأنا أحيي الأستاذة إنعام على ذلك.

وكذلك، بالنسبة لمسلسل "هي والمستحيل" والذي شاهدته أكثر من مرة والذي أعترف أنه أثر في شخصيتي للغاية، ولا نريد أن نقول إن الأستاذة إنعام تتبنى المرأة المتحررة، إنما هي توجه المرأة إلى السلوك السوي الذي يجب أن نتوجه إليه، فلا يجب أن تأتي امرأة لتقول إنها ضحية ولم تتعلم، فلديها طاقات وقد أظهرت المخرجة في هذا المسلسل الممتاز ما الذي يمكن أن تصنعه امرأة بهذه الطاقة الموجودة الكامنة بداخلها.

وأخيرا، فإن الفكر الراقي الذي تقدمه الأستاذة إنعام يقدم شيئا مهما جدا، ففي سينما المقاولات حاليا يقولون (الجمهور عايز كده)، فهذا الجمهور هو نفسه الذي انجذب إلى أعمال مثل مسلسليّ "أم كلثوم" و"قاسم أمين" ومثل فيلم "الطريق إلى إيلات" وغيرها. إذن، هي رسالة من فنان مثقف ومحب لعمله كرس حياته لتعديل وتوجيه أهل بلاده إلى الاتجاه الصحيح، فهو يتصل بالجمهور لتقويمه مثلما حدث في مسلسل "هي والمستحيل"، فنتمنى أن يكون هناك جيل من الفنانين والمثقفين الذين يحبون عملهم ويخلصون له مثلما تفعل الأستاذة إنعام .. وشكرا.

إنعام محمد علي:

أشكركِ وسوف أتحدث عن بعض الوقائع التي ذكرتها والخاصة بفيلم "الطريق إلى إيلات"، وتحديدا عن اللغم الذي كان في الفيلم، فواقعة اللغم هذه حضر تصويرها اللواء مصطفى طاهر الذي قام بتنفيذها واقعيا وقت أن كان يحمل رتبة رائد، ولقد أصررت على أن يحضر تصوير هذا المشهد ليراقب عملي ولينبهني لأي خطأ لكي أصلحه، فالمسائل العسكرية لا يجب أن يحدث فيها أية أخطاء.

ومن الأشياء التي أسعدتني للغاية، إنه بعد انتهاء تصوير فيلم "الطريق إلى إيلات" وأُعِدَّ للعرض، فاجأنا وزير الدفاع بعشر لواءات يمثلون مختلف الأفرع في القوات المسلحة حتى يقرروا إذا ما كان هذا الفيلم يُعرض أو لا وإذا ما كان هناك خطأ عسكريا أو لا، وكان ذلك اختبارا صعبا شعرت وأنا أخوضه بأنني تلميذة تنتظر النجاح، وكان هذا النجاح هو قولهم إن الفيلم ليس به خطأٌ عسكريٌّ واحد.

أما بالنسبة لقصة المقاتل الذي حمل جثمان الشهيد فقد حضر هو الآخر التصوير، وعلى الرغم من أن التصوير لا يتم بشكل كامل متتابع، إلا أنه حضر اللقطات التي كنا نصورها في المياه والتي تسجل الممثل ناصر سيف وهو يحمل الممثل عبد الله محمود، وكان واقفا على الشاطئ ثم انتقل معنا جميعا إلى سطح المركب مراقبا للمشهد وكانت عيناه تدمعان.

سامح سلمان (محاسب):

لا يوجد عندي تعقيب، لكن عندي استفسارات كثيرة سأحاول اختصارها على قدر استطاعتي. طبعا، في سبيل عمل مسلسل عن أم كلثوم يتطلب الأمر زيارة القرية التي نشأت فيها، هل تم بناء الـــdata من خلال القرية نفسها ومن خلال أشخاص من الممكن أن يكونوا قد عاصروها وعاشوا معها؟ وإذا كان حدث ذلك فهل تطرق الأمر إلى جمع معلومات أيضا عن أحمد شوقي وسيد مكاوي وكل من عاصروها؟ وكيف استطعت تجميع كل هذه الشبكة؟ فأنا أتصور أن هذا مجهود كبير جدا بالنسبة لحضرتك أتمنى أن تحدثينا عنه.

وأخيرا، بالنسبة للقصة التي تختارينها، هل تختارين قصة وسيناريو وحوار أم قصة ثم تشرفي على السيناريو ثم تقومي ببناء الحوار؟ أرجو أن تتكرمي بالتوضيح .. وشكرا.

إنعام محمد علي:

قبل أن أجيبك أحب أن أؤكد على نقطة مهمة ذكرتها الدكتورة صفاء فؤاد وهي أن السفينة التي دمرناها في ميناء أبي قير البحري "بيت شيفع" و"بات يام" رآها مجموعة من لواءات البحرية الذين كانوا في زيارة لمكتب مدير الموقع، وكانت السفينة واقفة وعليها بالطبع علم إسرائيل فاندهشوا بشدة وقالوا "كيف تدخل سفينة إسرائيلية إلى ميناء أبي قير البحري دون علمنا ؟!" وقد ضحك مدير الموقع لذلك – ولم نكن موجودين نحن فريق عمل الفيلم – واصطحبهم في جولة لمشاهدة هذا الهيكل المبني الواقف في الميناء والذي كان خاويا بالطبع من الداخل، فالمشاهد التي أبرزت الماكينات والشكل الداخلي للسفينة تم تصويرها في سفينة حقيقية. ولقد تم تصميم هذا الهيكل مماثلا للسفينتين "بيت شيفع" و"بات يام" الحقيقيتين، إلا أن هذا الهيكل كان واحدا لكن في التصوير كان يظهر وكأنه سفينتان، "فبيت شيفع" من الخلف وهي السفينة التي تستخدم في نقل المعدات الحربية، ومن الأمام "بات يام" وهي سفينة تجارية.

أما بالنسبة لسؤال الأستاذ سامح سلمان عن قرية أم كلثوم، فقد زرت أنا شخصيا قرية أم كلثوم، وقابلت أهلها وابنها بالتبني الذي ظلت تربيه لفترة طويلة وجلست معهم جميعا، إلا أن تصوير القرية نفسها كان صعبا، فقد كنا نحتاج إلى قرية بدون دِش ولا أجهزة تليفزيون ولا كهرباء، وحتى نجد قرية بهذا الشكل في نهاية التسعينات من القرن العشرين كان لابد من أن تكون في مدينة الإنتاج الإعلامي، وذلك حتى لا تظهر كل آثار المدنية، ولكن من رأوا القرية في المسلسل أحسوا وكأنها قرية بداية القرن.

أما عن التوثيق للشخصيات التاريخية الأخرى، فقد قلت إنني قرأت – ليس فقط عن أم كلثوم – وإنما جمعت **data** عن كل الشخصيات التاريخية الموجودة في المسلسل، أنا والمؤلف أيضا، وكان يوجد أيضا مؤلف آخر وهو إنسان عظيم رحمه الله هو المرحوم أ. محمود كامل والذي ساهم معي مساهمة كبيرة جدا في جمع الـ**data** الخاصة بالأغاني، إذ قال لي الأستاذ محفوظ عبد الرحمن إنه لا علاقة له بالشق الغنائي في المسلسل، وأوكله لي وعاونني فيه بحق المرحوم أ. محمود كامل الذي كان له دور كبير في المسلسل.

أما عن السؤال عن القصة والسيناريو والحوار ، دكتور جابر.. هل من الممكن أن تتفضل بالإجابة عن هذا السؤال، فهذه معلومة لابد أن يعرفوها.

جابر عصفور:

في هذا الموضوع، هناك مذاهب، فالقصة هي النص المكتوب سواء المنشور في كتاب أو في صحيفة، هذا النص المكتوب في الأغلب الأعم يأخذه كاتب السيناريو ويحوله من رواية عادية إلى سيناريو كما تم تحويل مجموعة من الأعمال الكبيرة مثل روايات نجيب محفوظ على سبيل المثال، وهو أشهر مثال. أما الحوار، فمن الممكن أن يكتبه كاتب السيناريو، أو أن يسهم به كاتب آخر معروف بقدرته على صياغة الحوار، لأنه للأسف هناك أناسا حرفيين في السيناريو ولكن صياغتهم للحوار ليست بالقدر الفني المطلوب، عندئذ، يلجأ المخرج والمنتج معا إلى كاتب حوار لكي يصوغ هذه الحوارات فقط. لذلك تجدون أحيانا أفلاما القصة فيها لكاتب، والسيناريو لكاتب آخر، والحوار لكاتب ثالث لأن الحوار مهم جدا ومن الممكن أن يخلق تدفقا في العلاقة بين الشخصيات أو من الممكن أن يهبِّط هذه العلاقة.

لكن في حالة الكتابة للتليفزيون فالأمر مختلف، فمن الممكن أن يكون كاتب مثل أ. محفوظ عبد الرحمن هو كاتب القصة وهو الذي كتب السيناريو وهو كذلك الذي كتب الحوار وهنا يأتي دور التعاون بين المخرج والمؤلف في الصياغة.

منير فتح الله (عضو اتحاد الكتاب ورئيس مجلس إدارة جمعية كتَّاب وفناني وإعلامي الإسكندرية):

أولا نحن نرحب بحضرتك هنا في الإسكندرية، ونحن نشتاق لكِ طوال عمرنا، وقبل أن أسأل سؤالي أحب أن أقول إننا بعد أن رأينا عملك الرائع "أم كلثوم" وسمعنا إن العمل التالي له هو عن قاسم أمين خِفنا وأصابنا القلق. فأم كلثوم حياتها قصة درامية كاملة مشحونة بالصراعات والخلافات، لكن قاسم أمين هي قصة حياة شخص، صحيح إنه قام بعمل كبير جدا، لكن ليس بحياته – في رأيي– أي شيء من الدراما، فكيف يكون ذلك في مسلسل؟ أقصى تنفيذ درامي لحياته هو سهرة درامية! ففوجئت بما أنجزتِه مع الأستاذ محمد السيد عيد والذي كان شيئا رائعا وجميلا للغاية، ولم أكن أتصور أن كل هذه الأحداث موجودة في زمن قاسم أمين، ولدي سؤال أريد أن أسأله لحضرتك، إلى أي مدى للمخرج الحق في أن يتدخل في نص المؤلف؟ هل له الحق أن يبعثر مفردات النص على الرغم من إنه وافق عليه منذ البداية؟ أسأل هذه الأسئلة لأنني شخصيا واحدٌ من الذين يعانون من هذا الموضوع، أليست هناك حدود لتدخل المخرج في النص؟ أم أن مجرد استلام المخرج للنص يعطيه الحق في تغييره وحتى في تغيير فكرته أو أوضاعه؟ .. وشكرا.

جابر عصفور:

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

أود أن أوضح أن المخرج –في رأيي– هو المايسترو، والعمل في النهاية مسئوليته الكاملة، ومن ثَم من حقه أن يفعل ما يشاء بالنص، لأنه صحيح أن الأستاذ محفوظ عبد الرحمن هو الذي كتب مسلسل "أم كلثوم" وأن الأستاذ محمد السيد عيد هو الذي كتب مسلسل "قاسم أمين" وأن الأستاذة سلوى بكر هي التي كتبت "نونة الشعنونة" وأن الأستاذ جمال الغيطاني هو الذي كتب "حكايات الغريب" .. إلخ، لكن في النهاية، أ. إنعام محمد علي هي التي أخرجت هذه الأعمال، والعمل في مجمله منسوب إليها ومن حقها أن تحذف وأن تقدم وأن تؤخر فهذا من حقها. ومن حقها أن تطلب من المؤلف أن يعيد كتابة بعض الأشياء لأن هي التي عندها الرؤية البصرية المادية الملموسة للعمل، أما المؤلف فليس عنده سوى التصور الكتابي وهو عمل مختلف تماما.

فعلى سبيل المثال، مسرحية "هاملت" لشكسبير سواء في الإخراج المسرحي أو في الإخراج السينمائي، لن تجدها بحذافيرها مثلما كتبها شكسبير لا عندما قدمتها السينما ولا حتى عندما قدمها المسرح، وما أكثر ما يُحذف من هذه المسرحية ومن غيرها، وبالمناسبة مسرحيات شكسبير ثقيلة الدم في الإخراج ولابد من أن يحذف المخرج أشياء أو أن يكون تقليديا فيحافظ على الصورة كلها. المخرج هو المايسترو ومن حقه أن يفعل بالعمل المكتوب ما يشاء لأنه يعيد إنشاءه .

إنعام محمد علي:

وسأقول لحضرتِك شيئا، لا توجد نهاية في كل أعمالي تم تنفيذها كما هي مكتوبة على الورق، ففي كثير من الأحيان، عندما أصور تصوير خارجي وأختار **location** ولا يكون المؤلف بصحبتي، وأجد أن هذا الـ**location** مختلف عن التصور الذي كتبه المؤلف وهو على مكتبه، فلو لم تكن لدي القوة لتطويع المشهد الموجود لطبيعة الـ**location** سأقف عاجزة، فالمخرج يجب أن يكون عنده أيضا قدرة على الكتابة.

ويعني ذلك بالطبع أن يكون المخرج وكاتب السيناريو متفقين على الهدف وعلى الرؤية المهنية، وأنا لا أعمل مع مؤلف لا يتفق معي في الرؤية مبدئيا، على العكس فأنا أريد أن أبلور هذه الرؤية وأن أكثفها وأن أستخدم في خدمة ذلك أساليبي وأدواتي المختلفة كمخرجة بل وأحيانا الكتابة نفسها، فمن الممكن أن أعيد صياغة المشهد أو أن أبدأه من منتصفه أو أن أحذف نهايته أو أن أحذف المشهد بالكامل أو أن أكتب مشهدا بديلا يتوافق مع المكان ومع العناصر الأخرى. لذلك، فأنا أقول إن كان المؤلف هو والد النص فالمخرج تزوج النص، وفي النهاية، ستكون هذه مسئوليته الكاملة وسيحاسب عليها وخصوصا لو كان مخرجا قد عقد أواصر الثقة بينه وبين الناس. لكن – وبشكل عام – لا يوجد نص

يخرج كما كتبه مؤلفه، لكن المهم ألا تتغير في النهاية رؤية الكاتب، فهذا لا ينفع وإلا فلماذا قَبِله المخرج منذ البداية؟ ولماذا لم يتفقا على رؤية؟ وهل لم يفهم المخرج الهدف؟ هذه كارثة أخرى، فهنا نحن نحطم أساسيات.

أحمد أبو زيد (أستاذ الأنثربولوجيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية):

شكرا دكتور جابر، واسمح لي أن أتجاوز كل عبارات الثناء والإطراء التي تستحقها الأستاذة إنعام محمد علي، لكن ما أثير الليلة أثار في ذهني بعض التساؤلات التي كانت تراودني أثناء مشاهدتي ومتابعتي للمسلسلين اللذين ذكرتهما الأستاذة إنعام. وأنا أريد أن أرجع إلى تجربتي الشخصية، تجربتي كهاوٍ من ناحية وتجربتي كمحترف من ناحية أخرى.

تجربتي كهاوٍ للتمثيل المسرحي في الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعة، وكان هناك المسرح المدرسي الراقي حيث مثلنا في المرحلة الثانوية "مجنون ليلى" و"مصرع كليوباترا"، وفي الجامعة مثلنا "أوديبوس ملكا" والذي كان يلعب دور أوديب هو ممثلنا العظيم محمود مرسي وكان المخرج هو چورچ أبيض. ومثَّلنا أيضا "عطيل" لشكسبير وكان مخرجها أحمد علام. وحينما أعددنا لهذه التمثيليات، قرأنا النصوص، نص "سوفوكليس" ترجمة طه حسين ونص "عطيل" ترجمة خليل مطران، وكانت لنا رؤية وتفسير وتأويل، لكن عندما جاء المخرج كان له تأويل آخر فرضه علينا فرضا، كنا مجرد أدوات يحركنا حسب رؤيته، كانت هناك إذن رؤية وفلسفة، وهذا يثير لدي سؤال: ما هي فلسفة الأستاذة إنعام محمد علي في رؤيتها لأم كلثوم وفي قراءتها لقاسم أمين؟

والجانب الثاني هو جانب الاحتراف، فأنا أنثروبولوجيست، تعلمت في إنجلترا وذهبت إلى أفريقيا ودرست بعض القبائل الأفريقية وتعرفت على كثير جدا من الشعائر الأفريقية، إحدى صديقاتي وكانت طالبة معي أيضا في أكسفورد، كانت دراستها للدكتوراه عن "أسطورة الضحك في إحدى القبائل في نيجيريا"، وكانت رسالة دكتوراه موضوعية مليئة بالمعلومات، ثم تحولت هذه الباحثة إلى كاتبة وكتبت رواية عن نفس هذا الموضوع بعنوان "العودة إلى الضحك". هناك رؤية مختلفة ومعالجة مختلفة، إنما في الدراستين سواء كانت الدراسة الموضوعية أو الرواية التي تعبر عن موقف ذاتي، كان هناك ما تسمونه أنتم يا نقاد الأدب "الحبكة"، فبدون "الحبكة" كان من الممكن أن يكون العمل مهلهلا. فما هي الحبكة التي أدت بالأستاذة إنعام إلى إنجاز هذين العملين الفريدين؟ وشكرا..

إنعام محمد علي:

اخترت شخصية أم كلثوم ليدور حولها مسلسل "أم كلثوم" لأنها سيدة لها قصة كفاح جميلة وتمثل قدوة في مجتمع فَقَد القدوة، من فتاة صغيرة تقطف القطن لسيدة تصل لقمة القمم الفنية والثقافية بجهد حقيقي وبكفاح طويل وبتثقيف ذاتي وبإصرار لا حدَّ له وبحب شديد لعملها جعلها تكرس حياتها بالكامل له. ففي مقابل عالم الغناء الذي نراه اليوم إلى عالم الغناء الأصيل مثلما يقولون، نرى الأغنية التي توفرت لها كلمات جميلة وألحان مبدعة، نرى جهدا حقيقيا مبذولا ونرى أيضا مجتمعا متضافرا يؤمن بالموهبة. وقصة أم كلثوم هي قصة سيدة وظَّفت موهبتها ليس فقط من أجل الغناء وإنما من أجل القضية الوطنية وكان لها دور في مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها بلادها، وكيف تتحول الأغنية لتكون مثل البندقية وأن تساهم في النضال وفي المقاومة وفي إذكاء الشعور الوطني. وأقارن ذلك بما يحدث الآن من نجاح سريع وتسلق على الأكتاف بدلا من بذل الجهد الحقيقي، ونرى اليوم الأغنية التي تصعد بصاحبها إلى السماء ثم تأتي أخرى غدا لتعيده إلى الأرض! ومن أثر مسلسل "أم كلثوم" أننا رأينا حتى الأطفال وقد بدأوا يفتحون آذانهم وذوقهم لأغاني وألحان أم كلثوم.

أما مسلسل "قاسم أمين"، فكان بالنسبة لي – كما قلت – تحديًا أكبر من مسلسل "أم كلثوم"، أم كلثوم شخصية جاذبة والغناء مادة أكثر جاذبية، لكن قاسم أمين مفكر وحوله الكثير من الجدل والاعتراضات، فهو شخصية خلافية، أيضا، منتَجه كتب، فكان التساؤل هنا هو كيف نحول مفكرا ومادته كتب إلى مادة درامية جاذبة؟ هذا هو السؤال الذي أجبت عليه في كلمتي السابقة عن مسلسل "قاسم أمين". وبالمناسبة، لقد كتب قاسم أمين في الاقتصاد وفي التربية وسبق عصره في مجالات كثيرة وليس فقط دفاعه عن المرأة، وقد أثبت الزمن صحة اعتقاده من أن تقدم أية أمة مرهون بدور إيجابي وفعَّال للمرأة داخل أسرتها وداخل المجتمع، فنحن نعيش الآن ردة مجتمعية – وهذا هو السبب الأساسي لاختيار المسلسل – وهذه الردة تختص بمجتمع النساء بوجه خاص.

جابر عصفور:

أريد أن أؤكد على فكرة الردة المجتمعية، وأنا أظن أن ذلك أحد الأهداف الأساسية لمسلسلي "أم كلثوم" و"قاسم أمين"، فكلاهما يقول لمن يعيش في هذا الزمان هذه هي المرأة المصرية، وهذا هو التاريخ المصري، ليست المرأة المصرية هي تلك التي تنغلق على نفسها في مجموعة من الخزعبلات، وليس المفكرون المصريون هم الذين يصرخون ويختزلون حضور المرأة في مجرد حجاب أو نقاب، إنما شيء آخر أكبر من ذلك.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

والنقد هنا يشمل كل شيء، يشمل أشكال الفن وأيضا ثقافة الفنان، فأم كلثوم تقدَّم على أنها تعرف كل مفكري العصر وأدبائه، عرفت مصطفى عبد الرازق وعلي عبد الرازق وطه حسين وغيرهم وكلهم أعلام العصر. لو نسأل مغنيات ومغنيين هذا العصر الذي نعيشه من يعرفون من المفكرين، ما هي ثقافتهم، فبماذا سيجيبون؟

عندما كانت أم كلثوم شابة صغيرة كانت تجلس ليعلمها أحمد رامي قراءة الشعر العربي القديم، يا ترى ما حدود الثقافة التي تثقفت بها أعظم مغنيات العصر الآن؟ إذن، فأنا أعتقد في النقطة الأخيرة التي أكدتها الأستاذة إنعام وهي إنه على الرغم من أن كلا المسلسلين يتحدثان عن تاريخ مضى، فإنه عن طريق الإشارة إلى ما نعيشه في زماننا يقوم كلاهما بإبراز الأشكال الجميلة التي عاشها مجتمعنا في الماضي، ولا يفوتني أن أقول إنه منذ العمل الأول وحتى عملها الأخير كرست أ. إنعام محمد علي جهدها للدفاع عن المرأة.

مصطفى محمد حسين (بالمعاش):

يسعدني في هذه الليلة أن ألتقي بالمفكر الكبير الدكتور جابر عصفور والسيدة الفاضلة الأستاذة إنعام محمد علي، وعندي سؤال أقدمه للأستاذة إنعام عن مسلسل "أم كلثوم"، كلنا نعرف العلاقة التي كانت بين محمد نجيب وأم كلثوم، وكانت هذه أجمل لحظات مصر تلك التي عشناها في عهد اللواء محمد نجيب، وأنا حينما أستمع إلى أغنية "مصر التي في خاطري" يقشعر بدني إلى اليوم وقد بلغت ٧٥ عاما، وأشم من هذه الأغنية رائحة ثورة ٢٣ يوليو ونجاحها، أريد تفسير من الأستاذة إنعام محمد علي .. وشكرا.

إنعام محمد علي:

في الحقيقة، لابد من أن يُحال هذا السؤال للأستاذ محفوظ عبد الرحمن، لكن، لو تتبعت المسلسل فستجد أننا أسهبنا في الجزء الأول لأنه كان الجزء المجهول من حياة أم كلثوم، ومررنا سريعا على الجزء الثاني لأنه كان الجزء المعلوم من حياتها. ونحن نقدم عملا دراميا، فالحدث مهم جدا وعنصرا الصراع والإثارة مهمّان أيضا، أما حياتها بعد ذلك وبعد زواجها فلم يعد فيها محطات يمكن أن يتم فيها عمل درامي، فكان سيبدو أن الجزء الأخير يتسم بالتسجيلية، والتسجيلية ستكون على حساب الإثارة الدرامية والتشويق الدرامي ومن الممكن أن يُخلّ هذا بالمسلسل ككل، لأنه في النهاية لابد أن يتوافر في المسلسل جانب الاستمتاع الفني للمشاهد، وليس فقط أن أقدم معلومات أو أقدم أفكارا.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

وقد مر الأستاذ محفوظ عبد الرحمن على أشياء كثيرة دون أن يذكرها، فلم يذكر مثلا حرب ١٩٥٦، فهناك فترات قفز متخطيا لها لأنه لو سرنا بنفس التفصيل الذي كان في الحلقات الأولى للمسلسل لاتَّسم الجزء الأخير منه بالتسجيل وكان لابد من أن أنهي المسلسل وهو لا يزال في قمة حرارته.

جابر عصفور:

وطبعا، يجب مراعاة أن هناك حساسيات سياسية تدخلت فحُذف الجزء الخاص بمحمد نجيب، وهناك حساسيات أسرية تدخلت فحُذفت علاقة أم كلثوم بأسمهان وهكذا.. تفضل.

فتحي الشيخ (صحفي وعضو نقابة الصحفيين):

في الحقيقة، لقد جئت لتوصيل رسالة للأستاذة إنعام محمد علي من زوجتي، وقد كنت اليوم صباحا في ندوة عن الكوارث والنكبات وكانت هذه الندوة كلها مشكلات فذهبت بعدها إلى البيت وأنا مهموم، وكانت قد جاءتني مكالمة تليفون منذ يومين تخبرني عن هذه الندوة، فكانت سعادتي أولا أن أرى الدكتور جابر وهو رجل من المثقفين الذين نشهد لهم بكل الخير، وكذلك السيدة الفاضلة الأستاذة إنعام، والرسالة التي أحملها من زوجتي هي أنها لن تشاهد مثل أعمالِك، وأنا عندي ولدان أحدهما طبيب وحياته كلها دراسة، والآخر إعلامي وحياته كلها رحلات ونشاط، ولم يتفق الاثنان إلا على أعمالِك، وأعتقد أن هذه جائزة تُزاد على الجوائز التي حصلتِ عليها.

تبقى كلمة أخيرة، نحن في زمن فارق، وعلى أعتاب عام جديد، فإذا لم يقود الفكر والفن والإعلام والثقافة قضية التنوير في هذا الوطن فلن تقوم لها قائمة، والدكتور جابر عصفور له دور كبير جدا في هذه المرحلة وللفن والإعلام أيضا دور كبير للغاية. أما أنا وقد قلت كلاما كثيرا منه إننا قد لا نستطيع أن نكتب كثيرا ولكن يكمِّلنا الفن والإعلام وخصوصا المسلسلات التليفزيونية، فلديكم مساحات كبيرة جدا. والأستاذة إنعام أثرت فينا جميعا، أثرت وبقوة، وأتمنى في المرحلة القادمة أن تنظر نظرة مستقبلية بما لها من أسلوبٍ أفهمه جيدا وتتعدى أفكارها بذكاء شديد ما قد لا نستطيع تخطيه أو فعله. أتمنى في المرحلة القادمة مع المسلسلات أن ننظر للمستقبل، وبأمانة شديدة جدا، عليكِ وبحقٍ وبصدقٍ أن تقودي عندما يتقوقع الآخرون، وأدعو الله من أعماقي أن يكون هذا العام ٢٠٠٤ عاما سعيدا مليئا بالتقدم والتنمية والازدهار وأن نعيش معا في سلام وأمان ومحبة وحب لأن مصر – حقيقة – في حاجة إلى سلام ومحبة وحب وكل عام وأنتم بخير ... وشكرا.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

جابر عصفور:

وأنت بخير ونحن نشكرك.. وأنا أريد أن أختتم الأمسية بسؤال أوجهه للأستاذة إنعام، إنني ألاحظ في مسلسليّ "أم كلثوم" و"قاسم أمين" وحتى في مسلسلات أخرى كثيرة، أن هناك حرصا على تقديم الشخصية بوصفها نموذجا وقدوةً، بالطبع هذا هام جدا بالنسبة للهدف الذي تريده الأستاذة إنعام من خلال الإلحاح على هذه الشخصيات النموذجية لإلقاء الضوء بطريقة غير مباشرة على الشخصيات السلبية التي نراها في عصرنا اليوم، لكن، هذه الشخصيات تُقدَّم كما لو كانت بلا أخطاء تماما، فمثلا أم كلثوم نراها في المسلسل فلا نجد لها خطأ واحدًا، ولا مرة واحدة ارتكبت إثما من الآثام التي نرتكبها جميعا والتي تجعل من حياتنا درامية إلى حد ما. نفس الأمر في مسلسل "قاسم أمين"، إذ يبدو قاسم أمين كملاك من السماء! فأنا أتمنى أن نختتم الندوة بأن تحدثنا الأستاذة إنعام في هذه النقطة مع نقطة أخرى وهي لماذا الإصرار لأن نمضي مع الشخصية النموذجية من الميلاد وحتى الموت؟ فمثلا الأستاذ محفوظ عبد الرحمن في فيلم "ناصر ٥٦" توقف عند جزء فقط من حياة عبد الناصر وأبرزه وهو الجزء الخاص بتأميم قناة السويس باعتباره جزءا من حياة يلخص الحياة، وهنا أريد أن أسأل المخرجة إنعام محمد علي ألا يؤدي العرض الدرامي للشخصية من ميلادها إلى مماتها إلى نوع من التسطيح النسبي إذا جاز استخدام هذه الجملة القاسية؟ وإنه لو ركزنا على جزء من الحياة له دلالته ومن خلاله كشفنا عن كل شخصية ويؤدي هذا إلى عمق أكثر أم أن هذا مرتبط بفلسفة الحياة أو بالرؤية التي تحدث عنها الدكتور أحمد أبو زيد؟

إنعام محمد علي:

ما طرحه الدكتور جابر يختلف في مسلسل "أم كلثوم" عن مسلسل "قاسم أمين"، مختلف حتى في رؤيتي، فكما قلت لكم، أنا لم أقابل أم كلثوم في حياتي، لكنني من عشاقها ومن محبي أغانيها وفي النهاية هي مغنية بمعنى أن منتجها هو الغناء، وأنا كنت أريد أن أنقل للمشاهد حالة الانتشاء التي أشعر بها وأنا أسمع أم كلثوم، فكنت أريد أن أحول المسلسل إلى أغنية شجية لأم كلثوم من بدايتها لنهايتها، هذا هو الإحساس الذي كنت أريد توصيله للمشاهد، فهناك وجهة نظر ينطلق منها المخرج، الإطار والإحساس الذي يريد توصيله، وعلى أساسه يعزف معزوفته ويستخدم أدواته ويحدد الأطر التي يقدم فنه من خلالها.

كنت أريد أن أقدم المسلسل الذي يمتد لسبع وثلاثين حلقة وكأنه أغنية طويلة لأم كلثوم يشعر المشاهد بالشجن وهو يشاهدها ويسمعها، وهذا الإحساس لا يسمح بوجود ثقوب في الثوب، فكان من الصعب أن نكشف أنه كانت لها

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

علاقات عاطفية – إلا إننا أبرزنا علاقتها بشريف صبري و التي كانت أيضا علاقة سرية – لكننا لم نستطع إبراز ذلك بشكل كامل في مسلسل أم كلثوم، فأنتم تعرفون أننا في مجتمع متحفظ والمرأة – وخصوصا أم كلثوم – لها وضع خاص.

ونحن لم نبدأ المسلسل من ميلاد أم كلثوم، وإنما من نقطة اكتشاف موهبة الغناء عندها والمسلسل كله كان عن الغناء، فقد أخذنا تاريخ حياة المغنى في حياة أم كلثوم منذ اكتشاف الموهبة حتى انتهاء الحياة، لدرجة إنه كان من الممكن أن ينتهي المسلسل عند إسدال الستار على أم كلثوم بعد أن غنت "القلب يعشق كل جميل" و"إنت الحب" في آخر حفلة لها في يناير ١٩٧٣، والتي يُقال إنها لم تستطع مواصلة الغناء فيها وأنها هي التي طلبت أن يُغلق الستار، وكانت هذه هي نهايتها الحقيقية، بل ونهاية المسلسل الحقيقية مثلما بدأنا بنقطة اكتشاف الموهبة في الحلقة الأولى.

أما في مسلسل "قاسم أمين" فلم نبدأ من سنة الميلاد، إنما بدأنا من سنة مهمة جدا وفارقة في تاريخ مصر وهي سنة مخاض الثورة العرابية ثم الاحتلال الإنجليزي لمصر لأننا لم نقدم قاسم أمين كفرد وإنما قدمناه كمجتمع وكعصر كامل تربى من خلاله هذا المفكر وتأثر به ومنه انطلقت دعوته.

ولقد قدمنا في إحدى الحلقات كتابه المعنوَن "المصريون" وانتقدنا ما جاء في هذا الكتاب وانتقدته الأميرة نازلي لأنه عكْس ما نادى به قاسم أمين بعد ذلك. كذلك أظهرنا لقاسم أمين حياة أخرى إذ كانت له عشيقة أو خليلة وهي "وسيلة"، وقد خففنا ذلك في المسلسل لدرجة أن جعلنا سلافا ووسيلة شبيهتان – كما أسلفت – مما جعله ينجذب لوسيلة، إنما الحقيقة غير ذلك، إلا إننا اقتربنا ولم نقترب، قلنا ولم نقل بالشكل الصريح .. لماذا؟ لأن قاسم أمين بشخصه لم يكن هدفي وإنما كان هدفي هو دعوة تحرير المرأة وهذا الرجل هو الذي انبثقت منه هذه الدعوة ونحن في هذا الزمن في حاجة إلى دعوة تحرير المرأة، إن شخص قاسم أمين بالنسبة إلي لم يكن سوى وسيلة لهذه الدعوة التي نحتاجها اليوم أكثر مما كان احتياجنا لها منذ مائة عام.

جابر عصفور:

أظن أن هذه إجابة وافية نختتم بها هذه الأمسية الجميلة واسمحوا لي أن أشكر الأستاذة إنعام محمد علي على هذا الحضور المتوهج وأشكر الحضور جميعا وأذكركم أن ندوتنا القادمة ستكون يوم السبت ٢٤ يناير ٢٠٠٤ وسيحاضر فيها

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

المعماري المتميز جمال بكري والذي سيحدثنا عن العمارة في مصر والسبيل إلى توحيد الأسلوب المعماري بدلا من التشوه البصري الذي نراه.

****

الأعمال والجوائز التي حصلت عليها الأستاذة / إنعام محمد علي

*****

- عشرون مسلسلا من أهمها : هي والمستحيل، حصاد العمر، الباحثة، حتى لا يختنق الحب، دعوة للحب، الحب وأشياء أخرى، ضمير أبلة حكمت، أم كلثوم، وقاسم أمين.
- خمسة أفلام وهي: آسفة أرفض الطلاق، يوميات امرأة عصرية، صائد الأحلام، حكايات الغريب، الطريق إلى إيلات.
- ثماني عشرة سهرة درامية من أهمها: أم مثالية، أمهات لم يلدن أبدا، حب بلا ضفاف، دولت فهمي التي لا يعرفها أحد، الخروج من الجلد، نونة الشعنونة.

-أهم الجوائز:

- ثلاث تمثيليات سهرة حصلت على ثلاث عشرة جائزة في كل فروع الإنتاج – في أول مهرجان يقيمه التليفزيون لإنتاجه المحلي عام ١٩٨٣ عن إنتاج ١٩٨١، ١٩٨٢.
- جائزة أحسن مسلسل "دعوة للحب" في أول مهرجان يقام في الكويت عام ١٩٨٤ للأعمال الدرامية العربية.
- جائزة مهرجان شنغهاي الدولي الأول لتمثيلية السهرة "دولت فهمي التي لا يعرفها أحد" وقد نالت نفس التمثيلية جائزة مهرجان دولي من المغرب وآخر بتونس.
- الجائزة الذهبية لفيلم "حكايات الغريب" في أول مهرجان يقيمه اتحاد الإذاعة والتليفزيون عام ١٩٩٤.
- الجائزة الذهبية لفيلم "الطريق إلى إيلات" في المهرجان العربي المثالي الذي أقامه اتحاد الإذاعة والتليفزيون عام ١٩٩٥.
- الجائزة الفضية عن تمثيلية "نونة الشعنونة" في المهرجان العربي الثالث الذي أقامه اتحاد الإذاعة والتليفزيون عام ١٩٩٦.

- حصول أفلام "صائد الأحلام"، "حكايات الغريب" و"الطريق إلى إيلات" على جائزة المركز الكاثوليكي المصري كأحسن فيلم تليفزيوني عن أعوام ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٥.
- وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من السيد الرئيس / محمد حسني مبارك في عيد الإعلاميين عام ١٩٩٩.
- الجائزة الذهبية لمسلسل "أم كلثوم" وأيضا جائزة أحسن إخراج من المهرجان السادس لاتحاد الإذاعة والتليفزيون عام ٢٠٠٠ هذا بالإضافة إلى حصول هذا المسلسل على العديد من الجوائز العربية والمحلية.
- الترشيح لجائزة الدولة التقديرية من نقابة المهن السينمائية.